وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور – الجلفة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم علم الاجتماع والديمغرافيا

مطبوعة خاصة بمقياس

مـدخـل

علـم الإجتمـاع

دروس موجهة لطلبة السنة أولى علوم إجتماعية

السداسي01

إعداد الدكتور. عبد الرحمان شداد.

السنة الجامعية :2021/2020

الفكر الاجتماعي

تمهيـد:

إن التفكير الاجتماعي في أحوال البشر موجود منذ وجد الإنساني على الأرض، غير أن التفكير يختلف في العصور القديمة عنه فيما بعدها، مثلما قد يختلف باختلاف المكان.

لذلك فإنه من الخطأ القول أن التفكير الاجتماعي وليد العصر الحديث، بل إنه أسبق من ذلك بكثير، حتى انه يمكن القول بأنه لم يكن هناك عصر من العصور ولا أمة من الأمم إلا وكان فيها من المفكرين الاجتماعيين الذين أدلوا بأفكارهم من أجل إصلاح المجتمع وتوعيته ومحاولة بناءه وربما العمل على تغيير الأوضاع السائدة فيه، لذلك فإن الحضارات القديمة كان لها إسهام كبير مثل الشرق القديم والعصور الإسلامية.

وكثير من المنصفين أثبتوا أن حضارات الشرق القديم (مصر الفرعونية، بلاد الرافدين، الصين القديمة، الهند القديمة) كان فيهم ما يمكن أن يسموا بالمفكرين الاجتماعيين، إضافة إلى الكثير من المسلمين القدامى كانت لهم العديد من المبادرات والإسهامات البارزة في الفكر الاجتماعي.

وإن مبادرات الفلاسفة والمصلحين والمفكرين القدامى لعبت دورا هاما في العلوم الاجتماعية الحديثة، رغم ما يقال أن الفكر الاجتماعي في مراحله الأولى كانت له صبغة مثالية ترمي إلى تحقيق مجتمع مثالي، وكان هدفه غالبا البحث عما يجب أن يكون عليه المجتمع. وتجدر الإشارة إلى أن بعض المفكرين والكتاب الغربيين المهتمين بالدراسات الفلسفية، كثيرا ما يعرجون على دراسة بدايات التفكير الأولى والفلسفات القديمة، فهم يعدونها أول صورة منظمة وصلت إليهم عن الفكر الإنساني المنظم في المسائل الإجتماعية.

ومع ذلك نجد من يقلل من أهمية الدراسات الاجتماعية الشرقية القديمة، التي سبقت الفلسفة اليونانية متجاهلين الفكر الشرقي فيصفه بعضهم بالضحالة والعقم، واتهام المفكرين الشرقيين القدامى بأن ظروف حياتهم وأوضاع بيئتهم الاجتماعية منعتهم من المساهمة في إعطاء أفكار عامة تناقش أصل النظم الاجتماعية، وأن الفكر الشرقي القديم لم يكن سوى فكر لاهوتي. لكن من جهة أخرى نجد من أكد على أن هناك فلسفات شرقية لا تقل في عمقها ودقتها وأصالتها عن فلسفات الغرب.

غير أن المهم في ذلك أنه يجب التأكيد على أن أي حضارة من الحضارات القديمة لم تقم من فراغ ودون جهود واجتهادات، بل هناك محاولات وإسهامات يمكن القول معها بأن الفكر الاجتماعي قد مر بمراحل متعددة كان الغرض منها تحقيق الرفاهية الاجتماعية ورسم نموذج للحياة الاجتماعية من قِبل أفراد في بعض المجتمعات اهتموا بدراسة الواقع الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية ومحاولات لإيجاد الحلول لما يعترض المجتمع من صعوبات في الحياة اليومية.

- التفكير الاجتماعي في الشرق القديم -

يقول "موريس كروزيه" في كتابه تاريخ الحضارات العام بأننا نكون أمام حضارات متعددة لا حضارة واحدة وحيدة، وليس بينها ما يدعي الرئاسة المحتومة، فهذا أمر مسلم به اليوم بين علماء الأجناس البشرية والمؤرخين أو العلماء الاجتماعيين إذ يقر هؤلاء أن لكل جماعة بشرية على شيء من النظام، مدنيتها الخاصةً [1] كذلك من الأمور المسلم بها اليوم عدم الأخذ بالنظرية الضيقة التي تقول بتاريخ واحد للحضارة. كما نرى في ماضي البشرية وتاريخها السحيق، أن لكل حضارات مجموعة من الأفكار والنظم السياسية.

وفي هذه الرقعة الواسعة من الأرض برزت وازدهرت أقدم حضارتين بين الحضارات التي قامت على مقربة من حوض البحر المتوسط، ففي مصر وبلاد ما بين النهرين ظهرت أولى السلطنات العظيمة التي تستأثر بانتباهنا للمجهود البشري العظيم الذي بذلته، لقد كانت مصر القديمة وبلاد الرافدين حضارتين متعاصرتين تقريبا، فيرجع ظهورهما إلى حوالي سنة 3200 ق.م، بحيث يستحيل على المؤرخ اليوم أن يقطع فيمن منهما سبقت الأخرى للظهور.

كذلك في الصين القديمة ظهرت طوائف من الحكماء والفلاسفة الذين درسوا موضوعات تمس صميم الحياة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية، وفي الهند برزت صور مختلفة من العقائد والعبادات التي كانت لها تأثيراتها على أنماط السلوك، وأساليب التفكير الاجتماعي.

---

[1]-موريس كروزيه وآخرون: تاريخ الحضارات العام، المجلد 1، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص 18.

أولا/ الفكر الاجتماعي في مصر القديمة:

إن عمر بلاد مصر حتى الآن في أرجح الأقوال يبلغ حوالي 5000 سنة منها 3000 سنة تخص الحضارة الفرعونية.[1] وقد ضمت 3000 سنة الأولى ثلاثة دول هي الدولة القديمة فالدولة المتوسطة ثم الدولة الحديثة، وقد قسم المؤرخ المصري القديم "مانيتون" الأسر الحاكمة في مصر إلى 30 أسرة، ولا يزال هذا التقسيم معمولا به إلى حد الآن. وتركت الحضارة المصرية القديمة تراثا اجتماعيا غزيرا واقتصادا منظما وكذا دينيا وأخلاقيا عظيما.

وكان "هيرودوت" قد قال: "بأن مصر دون غيرها من بلاد العالم تحوي عجائبا وآثارا لا توصف، وأن مناخها منقطع النظير وأن نهر النيل فيها له طبيعة خاصة، مغايرة لأنهار العالم..." وقد قيل أن مصر هبة النيل فهي أرض صحراوية، ولولا النيل لما قامت عليها الحياة، مما ساهم في قيام حضارة عظيمة هي الحضارة الفرعونية. وترك الفراعنة آثارا عظيمة أمكن للباحثين والمختصين اكتشاف الكثير من الحياة الفكرية فيها وذلك في مظاهر ومجالات عدة.

كما أكد هيرودوت أن هاته العوامل وغيرها جعلت المصريين يختلفون عن سائر الشعوب في عاداتهم وسننهم، فالشخصية القاعدية المصرية حسب "هيرودوت" تتميز بمنطقها الواقعي وصبرها ومسالمتها واحترام الموت وتقديس الدين والمحافظة على الاستيعاب الحضاري وعبادة السلطة.

1) في مجال الفكر الديني: العقيدة مثلت جانبا هام من تفكيرهم الاجتماعي وكان لهم دور في إحلال فكرة الإله الواحد (الوحدانية) لتحل محل الآلهة المتعددة وذلك إبتداء من ثورة الكاهن "إخناتون".

[1]–صلاح الدين شروخ: مدخل في علم الاجتماع، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 2005، ص 37.

إضافة إلى فكرة تقديس الملك حيث يعتبر إلها أو منحدرا من سلالة الآلهة، لذلك فإن ما يميز المجتمع الفرعوني هو تشبعه بالروح الدينية، إذ أن سلوكات الأفراد عبارة عن طقوس وتعبد، فالمزارع في مزرعته أو الحرفي في حرفته كأنه يمارس طقوسا تقربه من الإله، وكذلك الجندي الذي يقدم على الموت ويؤمن بأنه من الخطايا ان يموت على فراشه.

2) في مجال الفكر السياسي: إرتكز نظام الحكم في مصر القديمة على فكرة صار لها أثر في النظريات السياسية، كنظرية تقديس الملوك ونظرية الحق الإلهي في السلطة، وأن الملك مالك الأرض وليس للأفراد إلا حق الإستغلال.

3) في المجال الاجتماعي: إحتلت مسألة الطبقات جانبا هاما في تقسيم البناء الاجتماعي للمصريين القدامى حيث كان مقسما كما يلي:

أ-طبقة الحكام: وهي في القمة حيث يمثل الفراعنة الحكام الحكام السياسيين وفي نفس الوقت اعتبارهم آلهة أو منحدرين من الآلهة، لذلك كانت للحكام مكانة دينية مقدسة لدى بقية الطبقات.

ب-طبقة الكهنة: يشتغلون في المعابد ويعتبرون خدما لفرعون إنطلاقا من تقديسه كإله أو من سلالة الإله.

ج-طبقة الجيش: الذي يقوم على حراسة وأمن المملكة.

د-طبقة العمال: وتضم الحرفيين، الصناع والفلاحين...

هـ-طبقة العبيد: وهي تمثل أدنى طبقة في السلم الاجتماعي.

4) في مجال الفكر الأخلاقي والتربوي: ظهرت مبادئ وتعاليم على لسان الكهنة مثل تعاليم "بتاه حتب" 2500 ق.م، وتعاليم "كامنجي" وتعاليم "أمنحتب" 1300 ق.م.

وقد تمثلت التعاليم الفرعونية وانبنت على المثاليات الأخلاقية فيما يتعلق بالمعاملات ورعاية الفقراء والعجزة، ولغرس هذه التعاليم تبنت الدولة نظاما تعليميا دينيا يقوم عليه الكهنة.

5) في مجال الفكر القانوني: خلفت الحضارة المصرية القديمة الكثير من الأنظمة والتشريعات القانونية:

-ففي الدولة القديمة (3188، 1800 ق.م) كان نظام العقود المكتوبة مطبقا بدقة.

-كما نجد نظام اليمين فيما يخص الالتزام بأمور مستقبلية.

-نظام يخص المرافعات والتقاضي والمحاكم، وإعداد المحاضر الخاصة بالجلسات.

-وكانوا أول من عرف نظام عقد المعاهدات الدولية.

6) في المجال الاقتصادي: قدست حضارة مصر القديمة بعض مظاهر الحياة الاقتصادية المتمثلة في نظام الملكية والإرث والهبة والوصية وذلك في عهد الأسرة الثالثة "مينا".

ثانيا/ الفكر الاجتماعي في بلاد الرافدين (بلاد ما بين النهرين).

لو عدنا إلى التاريخ القديم ودرسنا أشهر وأعظم الحضارات لوجدنا بأن حضارة ما بين النهرين من أ قدمها وأعرقها فهذه الحضارة المدنية وصلت إلى أعلى درجات الرقي والتقدم في كل المجالات.

ومنها ظهرت أولى الكتابات باللغة المسمارية ودونت الأساطير على الألواح الحجرية، وسنت أولى القوانين ممثلة في قانون حمورابي، وتم دراسة علم الفلك ورصد النجوم، ووضعت أولى المسائل الهندسية، وبنت السدود على الأنهار، واشتهرت بفن النحت والعمار، وكانت أعظم إمبراطورية عسكرية امتدت سيطرتها من مابين النهرين إلى مصر وتخوم الصين، ونشرت المدنية والعلم والمعرفة في كل أرجاء العالم.

طبقات المجتمع ومكوناته:

وينقسم المجتمع إلى ثلاثة طبقات:

1) الأحرار: وقد اعتبرهم حمورابي العنصر الرئيسي، والعائلة لديهم نواة المجتمع، وتأسيس العائلة يمر بنفس المراحل التي نعرفها اليوم، كالخطوبة تسبق الزواج والإنجاب غاية الزواج.

2) المساكين: أي الفقراء وحياتهم اليومية هي العمل المستمر في الحقول والري والعناية بالأقنية، فيعتنون عادة بأراضي الملك أو المعبد أو الإقطاعي.

3) العبيد: وهم الطبقة الدنيا والأخيرة، وهم ملك لأسيادهم، ووصلوا إلى هذا الأمر إما عن طريق الأسر في الحروب أو البيع، ولقد أنيط بهم تنفيذ الأعمال الشاقة والمهن الوضيعة.

كما يتكون المجتمع في بلاد الرافدين قديما من:

-الملك: وكان هو رأس المجتمع، وصاحب السلطة الزمنية ويمثل الإله على الأرض، دون أن يتخذ وصف الألوهية.

-الكهنة: تميز الكهنة بسلطة قوية أيام السومريين فالملك السومري هو الكاهن في الوقت ذاته، و أخذت سلطة رجال الدين تتضاعف، نتيجة لاعتقاد الناس بالسحر والتنجيم والطلاسم، وأصبحت استشارتهم واجبا في حال انتقال الحكم من السلف إلى الخلف، وهذا لم يمنع من الاعتراف بالملك كاهنا أعلى، دون أن تكون له صفة إلهية، وتضم حاشيته عددا كبيرا من كهنة البلاط، وفي مرتبة أدنى كهنة المعابد ولهم مرتبة معنوية لأنهم ربطوا بين الطب والدين ويفسرون مشيئة الآلهة في اختيار العرش وفي تأدية النصح إذا كانت الظروف ملائمة للحرب.

-الكتبة والموظفون: يؤخذ الكتبة من بين الكهنة، ومن بين الكتبة يؤخذ الموظفون الكبار، ومع اتساع رقعة الإمبراطورية اشتدت الحاجة إلى الموظفين، ونشط التراسل بين العاصمة والمقاطعات، وانتشرت الكتابة المسمارية خارج بلاد الرافدين، وبلغ عدد الموظفين

في أيام حمورابي عشرات الآلاف، أما الآشوريون فقد اختصروا المعاملات الإدارية وبسطوها، لأن الحكم عسكري والمعاملات الإدارية تناط بالجيش.

-الجيش: لم يتطور الجيش إلا مع الأشوريون وفي هذا الوقت وصلت الفتوحات إلى البحر المتوسط، واتسعت إمبراطورية ما بين النهرين لتكون الأكبر والأقوى، وكان يرأس الجيش الملك نفسه.

نظام الحكم والمعتقدات الدينية:

تميز نظام الحكم بأنه لملكي يستند دوما إلى أساس إلهي، واعتبر النظام الملكي هابطا من السماء، وهكذا فإن النظام يحتفظ بالمظهر التيوقراطي.

كان للملك واجبات دينية ومنها واجبات طقسية، فالملك هو الكاهن، وهو الذي يقدم شخصيا طقوس العبادة، وهو الذي يشيد ويرمم ويكرس المعابد، وهو الذي يقوم بتعيين المناصب الكهنوتية كوظيفة كبير الكهنة.

إشتهرت بلاد الرافدين بوجود الهياكل وهي المعابد التي تقوم بأدوار مهمة وخطيرة، وهي تصنف بدرجات وفئات، وكان بعضها يتميز بأنه الأكثر زينة وغنى وأحسنها تجهيزا من حيث رجال الكهنة ورجال الادارة، لذلك كان الهيكل على غرار القصر عالما مستقلا، والكثير من الفئات تتلقى نشاطات طقسية في الهياكل لكي تمارسها كالنقاشين والنساجين والخبازين وحتى البوابين، وكانت أعمال الزراعة وحدها تستثنى من هذا الواجب.

وككل شعب بدائي قدس شعب ما بين النهرين مظاهر الطبيعة، فعبدوا القوى الكامنة ورائها، كحرارة الشمس أو قوة المياه أو الطوفان أحيانا، فكان طبيعيا في بلاد خصبة أن يؤله الخصب في الدرجة الأولى.

ولقد احتفظ سكان مابين النهرين في المراحل التاريخية بآلهتهم، فنرى البابليون يحتفظون بآلهة سومر وآكاد ولكنهم جعلوا "مردوخ" إله بابل في مقدمة آلهتهم، والآشوريون جعلوا "آشور"

في المقدمة وكانت الآلهة "عشتار" ملازمة له.

ولقد تعددت الآلهة بتعدد المدن "أنو" إله السماء -"انليل" إله الأرض -"ايا" إ له المياه الجوفية-"شمش" إله الشمس-"سين" إله القمر-"ادد" إله الطبيعة.

الفكر والعلوم:

خلفت حضارة ما بين النهرين الكثير من الآثار الفكرية، وحفظ معظمها في مكتبة آشور بانيبال، وتقدموا في العلم فتركوا منجزات عديدة، وعبرت عن آدابها بالعديد من الأساطير والملاحم.

فالسومريون دونوا أفكارهم فوضعوا أسس الكتابة وطورها الأكاديون من بعدهم وعرفت بالكتابة المسمارية. وكتبت الأعمال الأدبية والتي تناولت الرثاء بشكل أناشيد.

ولقد كان التشريع والقانون من أهم هذه الآثار التي اهتموا بها و أهم ذلك "قانون حمورابي" فجمع 282 مادة تشريعية، وتبنى هذه القوانين الآشوريون ليصبح قانون الدولة الرسمي.

الطب:

كانت مهنة الطب مرادفة في أغلب الأحيان لكهنة المعابد، وكانت معلوماتهم أولية، ومن أجل تنظيم مهنة الطب فلقد وضعت شروط قاسية لمن يمتهنها بحيث كان يعاقب كل طبيب يخطئ بالوصفة أو يجري عملية تودي بحياة المريض، ولقد نظم الملك حمورابي قانون مهنة الطب، وقد اقتبس الآشوريون الوسائل العلمية الفرعونية، وفصلوا بين المفهومين الديني والعلمي، وغدا للطب مهنة مستقلة وقربهم الملوك منهم نظرا للحاجة لهم.

حمواربي وتشريعاته:

حكم حمورابي بابل بين عامي 1792-1750 ق.م وكانت البلاد دويلات منقسمة تتنازع السلطة، فوحدها مكونا إمبراطورية ضمت كل العراق والمدن القريبة من بلاد الشام حتى سواحل البحر المتوسط وبلاد عيلام ومناطق أخرى.

واستمر حكم حمورابي حتى بدأت إمبراطوريته تعاني من ملامح التدهور بعد موته حتى تمكن الحيثيون والكاشيون من القضاء عليها تماماً[1].

كان حمورابي شخصية عسكرية لها القدرة الإدارية والتنظيمية والعسكرية. ومسلته الشهيرة المنحوتة من حجر الديوريت الأسود والمحفوظة الآن في متحف اللوفر بباريس، تعتبر أقدم وأشمل القوانين في وادي الرافدين بل والعالم. وتحتوي مسلة حمورابي على 282 مادة تعالج مختلف شؤون الحياة. فيها تنظيم لكل مجالات الحياة وعلى جانب كبير من الدقة لواجبات الفرد وحقوقه في المجتمع، كل حسب وظيفته ومسؤوليته.

وعندما أعلن حمورابي قانونه أراد أن يرضي الآلهة، وأن يؤمن الحق في البلاد ويقضي على فاعل الشر والرذيلة، ويمنع القوي من إلحاق الأذى بالضعيف.

وأكد بعض المختصين أنه لا يمكننا معرفة المجتمع الميزوبوتامي معرفة حسنة إلا في عهد حمورابي، وخاصة من خلال قانونه. ويكون هذا التشريع النص الأساسي الذي يسمح لنا بتفسير مستندات لا عد لها، وعقود يختلف زمانها ومكانها.

شعوب حضارة بلاد الرافدين:

لقد كانت حضارة بلاد الرافدين في مراحلها التاريخية والتي استمرت أكثر من ثلاثة آلاف سنة حضارة واحدة غير متجزأة، لذلك نجد تعددا في التسميات جاءت نسبة لتغيير الحكم من سيطرة إلى أخرى، مثل سومري - آكادي - بابلي - كلداني - أشوري.

فالسومريون سموا نسبة لمدينة سومر، والأكاديون نسبة لمدينة آكاد، والبابليون نسبة لمدينة بابل، والأشوريون نسبة لمدينة آشور، وعندما سيطر الكلدانيون على الحكم كانت

---

[1]- محمود أبو زيد، المختصر في تاريخ الفكر الاجتماعي، دار غريب، 1998، ص118.

بابل هي عاصمتهم. لذلك تجدر الإشارة إلى أنه رغم تغيير الحكم من مدينة إلى أخرى، فالشعب هو نفسه والحضارة هي امتداد لهذا الشعب.

ثالثا/ الفكر الاجتماعي في الصين القديمة:

مع مطلع القرن الخامس قبل الميلاد بدأ الفكر الاجتماعي الصيني يشهد اتجاهات متباينة حيث يمكننا التمييز بين مجموعة منها ولا شك أن خصوبة وثراء الفكر الاجتماعي الصيني القديم قد ارتبط بفترة من الاضطرابات الاجتماعية والعنف السياسي ، مما أسهم في ظهور محاولات فكرية حاولت فهم التحولات والتغيرات التي مر بها المجتمع الصيني وقتئذ.[1]

أسهم الصينيون بقسط عظيم في الفكر الاجتماعي، ومن أهم الكونفوشيوسيون والماوتسويون والطاويون وأصحاب مدارس دينية ذات إسهامات كبيرة في الفكر الاجتماعي.

وقد عني الفكر الاجتماعي الصيني بالتربية عناية فائقة، وعرف المدارس العامة والخاصة، وطالب النبلاء بالالتحاق بالمدارس العليا، وكانت الامتحانات صارمة ونزيهة، والتوظيف يتم على أساس الكفاءة المثبتة بالامتحان النزيه، وكانت المدرسة الصينية معنية بالفنون العقلية الستة ذات القيمة في ذلك الزمان، وهي الشعائر الدينية، والموسيقى، والرماية، وقيادة العربات العسكرية والرياضيات، والكتابة، كما كان للمعبد دور هام في التنشئة الاجتماعية.

الكونفوشيوسية:

كونفوشيوس (551-44 ق.م) **أعظم المفكرين الصينيين، ولقد يعتبر نبي الصين عند بعضهم، وقد أكسبته أسفاره الكثيرة وفكره النافذ خبرة عظيمة وحكمة، وحسبه فإن**

[1]-عزة أحمد صيام: تاريخ الفكر الاجتماعي، جامعة بنها، مصر، 2012، ص 04.

الأخلاق هي الأساس الأول الذي يجب أن تقوم عليه العلاقات الاجتماعية، فالتنشئة والتربية عليهما يجعل الناس في غير ما حاجة للقضاة والمصلحين.

كان كونفوشيوس مصلحا دينيا وسادت ديانته التوحيدية الصين قرابة الخمسة والعشرين قرنا ومازالت.

والحاكم في الكونفوشيوسية مفوض من الله على الأرض، وطاعته واجبة طالما احترم هو ذلك التفويض الالهي، وإلا فمن واجب الأفراد أن يثورو ضده، وقد صاغ كونفوشيوس في كتبه الخمسة قواعد الأخلاق، وهي ذات قيمة كبيرة جدا بالنسبة لعلم الاجتماع الوصفي الصيني.

وكان كونفوشيوس قد أمن بوجود جاذبية طبيعية بين الناس على نحو ما نرى من علاقات أفراد الأسرة الواحدة، وذلك ما يمكن أن يشمل الجنس البشري كله، وحسبه فإن الإسم يتكون من فهم المركز الصحيح لأي جماعة من الناس في الكيان الاجتماعي، ومن معرفة ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات فإذا أحسن المرء أداء دوره، قوى ذلك من مركزه الثابت.

الطاوية:

يقوم هذا المذهب على وجوب طلب الطاو، أي الوسط بينا المكونين الاثنين للعالم وهما "ألين" أي الأنثى، و"اليانج" أي الذكر.

وترى الطاوية بأن الطبيعة البشرية ليست حسنة، ولا هي بالسيئة أصلا، وبالتالي فإن الاستقامة ليست إلا عادة تكتسب بتكرار السلوك الحسن، وفيها دعوة للتأمل وفحص النفس، وجوه فكرها الاجتماعي، أن الكون في حالة تغير وتعديل مستمرين داخل مجال القوة التي كونها "ألين" و"اليانج" ولكن دونما صراع بينهما، لأنهما متوازيان ومتعادلان كقطبي مغناطيس واحد، وهما في حال توازن يمكن إقلاقه لمدة زمنية محدودة، والفضيلة في الطاو، أي في سلوك الطريق الوسط.

الماوتسوية:

وهي العقيدة الصينية الثالثة عاصرت الكونفوشيوسية، وقبلت بمبدأ الجاذبية فيها، ولكنها أنكرت التدرج في الجاذبية على أساس القرابة ظن فالحب يجب أن يعم الجنس البشري كله، وقد آمنت بوجود الله، فالدنيا محكومة عندها بإرادة مدركة واعية لكائن أعلى، واعتبرت حب الإنسانية كلها واجبا دينيا، ودعت إلى التقشف، وأن طلب الإنسان يطلب اللذة عن طريق خدمة البشرية.

رابعا/ الفكر الاجتماعي في الهند القديمة:

للفلسفة الهندية تاريخ طويل .والشذرات التأملية الأولى التيo كن أن توصف بأنها «فلسفية » تنتمي إلى الريج فيدا.[1]

ولقد تأثر الفكر الاجتماعي في الهند القديمة بواقعها الطبقي الاجتماعي، وتعدد أديانها، فقد عرفت الهند الطبقية بصورة واضحة، فالطبقات فيها متمايزة جدا ولا يجوز الارتقاء من واحدو لأخرى، كما لا يجوز التزاوج بين أبناء الطبقات الهندية، فكان لكل طبقة فكرها الاجتماعي المتأثر بهذه الطبقة، أو تلك وهذه الطبقات كانت وما زالت على النحو التالي:

1-طبقة البراهميين: أو الكهنة وهي أرقى الطبقات ومنها المعلمون والمشرعون، فيكون فكرها نموذجا لحال الفكر الهندي لأنه الأرقى طبقيا وتعليميا.

2-طبقة الكشتاريا: وهي طبقة محاربة.

3-طبقة الغايز: وهي طبقة الصناع.

4-طبقة المنبوذين: وهم العبيد.

وفي الطبقات الثلاث الأخيرة تتنوع الأديان الهندية على نحو يصعب حصره، فبالإضافة إلة البراهمة هناك أصحاب الروحانيات وغيرهم، مما سنشرح بعض أمرهم لاحقا، ثم إن

---

[1]-جون كولر: الفكر الشرقي القديم، سلسلة عالم المعرفة، العدد: 199، الكويت، 1995، ص 33.

الفكر الاجتماعي الهندي متأثر منذ القديم بعبدة الكواكب، وبالفكر الفيثاغورثي اليوناني، ولهذا تأثيراته في الفكر الاجتماعي الهندي القديم.

البراهمية:

منسوبة إلى رجل من الهند يدعى "براهم"، يعتمد فكره الاجتماعي على نفي النبوات أصلا بسبب أن ذلك حسبه مستحيل عقلا، وذلك على أساس القسمة الثنائية، فما أتى النبي به إما معقول فيكتفي العقل التام بإدراكه والوصول إليه، وإما غير معقول فلا يكون مقبولا، والناس لا يتعبدون إلا بما تدل عليه عقولهم، وما دامت العقول تقر بأن للعالم صانعا عالما قادرا حكيما وأنه أنعم على البشر نعما تستوجب الشكر، فنعرفه بعقولنا ونشكره بآلائه علينا، ونتحمل عقابه إذا استوجبناه، دونما حاجة إلى وساطة بشرية... وغير ذلك مما تجد تفصيله لدى الشهرستاني.

وتنقسم البراهمية إلى أصناف متفرقة منها: البددة، وأصحاب الفكر والهم، ومنهم القائلون بالتناسخ.

أ)البدديون: نسبة إلى "البد" وهو عند الهنود شخص في هذا العالم لا يولد، ولا ينكح، ولا يطعم، ولا يشرب، ولا يهرم، ولا يموت، وأول بد ظهر في العالم إسمه "شاكمين" وتعني السيد الشريف، وقد سبق الهجرة الإسلامية بخمسة ألاف سنة.

وبعد رتبة البد تأتي مرتبة "البوديسعية"، وهي تدعو إلى الامتناع إلى خصال مذمومة مثل: القتل، الزنا، الكذب، الشتم، الجحود لجزاء الآخرة،... كما أنها تطلب التحلي خصال محمودة: الكرم، التعفف، العلم، الأدب، حسن المعاملة،...

ب)أصحاب الفكرة والوهم: وهم أعلم بالنجوم وأحكامها المنسوبة إليهم، وينشئون الأحكام عن خصائص الكواكب دون طبائعها، على خلاف الروم الذين يحكمون من الطبائع، والهند يفعلوم الأمر ذاته في الطب، فيعتبرون خواص الأدوية دون طبائعها، والروم تخالفهم في ذلك.

وأصحاب الفكرة يعظمون الفكر لأنه بالنسبة لهم المتوسط بين المحسوس والمعقول، ويجتهدون في صرف الوهم والفكر عن المحسوسات بالرياضات البليغة، لأن تجرد الفكر عن المحسوسات يؤدي إلى تجلي ما وراءها.

ج)أصحاب التناسخ: التناسخ موجود لدى كل ملة من الملل، ولكن مفهوم التناسخ مختلف بحسب اختلاف الأمم، وأما تناسخية الهند فقائمة على الخرافة.

الحضارة اليونانية القديمة

التفكير الاجتماعي عند اليونانيين:

مما لا شك فيه أن الفكر اليوناني قد التقى واحتك بالفكر الشرقي القديم وخاصة الفكر البابلي الأشوري والفكر الفارسي والفكر الفرعوني، فالاتصال الحضاري والاحتكاك الثقافي له دوره في توجيه الفكر الاجتماعي نحو الموضوعية، فقد اتصلت الحضارة اليونانية بالحضارات الأخرى نتيجة لهجرة بعض القبائل من الشعوب المجاورة ونتيجة الحروب اليونانية وأصحاب الحضارات الشرقية وبخاصة البابلية والأشورية والفارسية، فضلا عن حركة التبادل التجاري التي راجت في تلك المرحلة خاصة وان اليونانيين كانوا يشتغلون بالتجارة بين الشعوب المختلفة، فضلا عن زيارة بعض حكماء اليونان وفلاسفتها لمصر القديمة وزيارتهم لمعابدها والتقائهم مع الكهنة الذين كانوا يقومون بوظيفة التعليم، فقد زار هيرودت وغيره مصر ونقلوا عنها كثيرا من المعارف، وهذا الاتصال والاحتكاك أدى الى انتقال قيم وعادات جديدة على المجتمع اليوناني [1].

والفكر الاجتماعي اليوناني يمكن القول بأنه من أنفس المراحل الإنسانية من حيث العطاء والابتكار وهذا يظهر جليا في كل ما قدمته للعلوم، حيث لا يمكن الكلام عن أي شكل من أشكال المعرفة دون الوقوف عند الحضارة اليونانية وما قدمته للإنسانية عامة، ونظرا

[1] ـ عبد الهادي الجوهري ، أصول علم الاجتماع ، دار الكتب، القاهرة، مصر، 1999 ، ص09

لشساعة الفكر والفلسفة اليونانية وتعدد مفكريها وفلاسفتها ومدراسها ومذاهبها سنتطرق لأشهر فيلسوفين هما أفلاطون وأرسطو على التوالي.

وقبل التطرق اليهما يجب أن نشير الى أمر هام يقوم على أساسه الفكر الاجتماعي اليوناني ألا وهو الحرية التي تنتج الابداع والأفكار الجديدة، وبخاصة الفردية منها نظرا لقيام حياتهم السياسية على النظام المحلي الإقليمي، وافتقادهم غالبا الحكومة المركزية المسيطرة على شعوب عديدة، فساعد ازدهار تلك الحرية على ازدهار الدراسات الفلسفية التي تضمنت الدراسات الاجتماعية، وذلك إضافة الى عدم وجود دين رسمي للدولة يحول دون نشأة الفلسفة النقدية [1].

ضف الى ذلك سعي الفكر الاجتماعي اليوناني الى بحث الظاهرة الاجتماعية المستقرة، بدل البحث في التطور وربما كان ذلك بسبب الاعتماد على الزراعة الروتينية المكررة، وهو فكر اعتمد الاستدلال العقلي عموما، مع استثناء أرسطو الذي عني في بعض دراساته بالمنهج الاستقرائي، وكانت الغالبية على احتقار ذلك المنهج، اعتمادا على الحرية التي يبيحها المنهج الاستدلالي.

أولا : أفلاطـــون (427ـ 347) ق.م

ينتمي أفلاطون إلى أسرة إرستقراطية أثينية وقد عاش في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد أي في الفترة (427 ـ 347) ق.م وقد تتلمذ على سقراط، وقد عاش أفلاطون في فترة عصيبة بالنسبة لبلده بشكل عام، وساد في اليونان في تلك الفترة اضطرابات كبيرة كما عرفت اليونان فترات من حكم ديكتاتوري الى جانب أزمة السفسطة التي أثرت تأثيرا كبيرا وسيئا على المجتمع، كل هذا جعل أفلاطون ينسحب من الحياة العامة وسافر الى شمال افريقيا وإيطاليا وصقلية، إلا أنه ما لبث أن عاد الى أثينا وأسس الأكاديمية وعمل في التدريس بها ، ويتمثل التفكير الاجتماعي عند أفلاطون في محاولته دراسة

---

[1] - صلاح الدين شروخ ، مدخل إلى علم الاجتماع، دار العلوم، الحجار، عنابة، 2005، ص 39

الحالة في المجتمعات اليونانية والبحث عن الأسباب التي تؤدي الى نشأة نظام اجتماعي معين [1].

وأفلاطون كان لا يميز بين مفهوم الدولة من ناحية والمدينة من ناحية أخرى مثله مثل بقية المفكرين اليونانيين والذين تأثروا بالأوضاع التي كانت سائدة آنذاك ، حيث سادت دولة المدينة حيث تعتبر الوحدة السياسية الكبرى المعروفة في ذلك الوقت، ونجد في كتاباته اختلاط بين مفهوم المدينة والمجتمع حيث يرى بأن المدينة هي المجتمع ، ويركز بشكل واضح على الحياة الاجتماعية في المجتمع .

ولقد أثرت الأوضاع السيئة التي عاشها المجتمع اليوناني في توجهات افلاطون بشكل كبير من خلال اتجاهه الى اليوتوبية حيث دفعته هذه الظروف الى التفكير في أفضل الظروف والنظم التي تتكفل بإيجاد نمط من الحياة تجلة من كل هذه المشاكل ومن هنا كانت جمهورية افلاطون التي أراد من خلالها رسم نموذجا لما يجب أن تكون عليه الدولة ليتحقق من خلالها الخير للأفراد والمجتمع.

ومن أشهر ما كتب أفلاطون في القضايا الاجتماعية نجد:

ـ الجمهورية.

ـ السياسي.

ـ القوانين.

وفي كتابه الشهير الجمهورية يحاول أفلاطون أن يضع تخطيطا مثاليا لمجتمع الجمهورية بحيث يقدم لنا تصورا مثاليا لمجتمع خيالي مثالي خالي من الشرور والأثام التي توجد بالمجتمعات الواقعية.

---

[1] ـ حسن شحاتة سعفان ، تاريخ التفكير الاجتماعي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1966 ص 31 .

وركز أفلاطون بشكل واضح على البناء الاجتماعي في تصوره لمدينته الفاضلة من خلال الاعتماد على بنية طبقية تعمل على اشباع حاجات مجتمع المدينة وتحقيق ذاتية كل طبقة من خلال ماهة متاح للأفراد.

وقد ربط بين البنية الطبقية والتخصص وتقسيم العمل في مجتمع الجمهورية، وهذا من خلال تأكيده على أن الحاجات تتحقق في المدينة المثالية من خلال تقسيم العمل وتخصص يرتبط اجتماعيا بكل طبقة في مجتمع الجمهورية، ويقوم هذا البناء الطبقي على تصنيف مجموعة من الخصائص تتميز بها الطبقات الاجتماعية بعضها البعض، ومن هنا فقد رأى أفلاطون أن المجتمع يضم ثلاثا من الطبقات الاجتماعية هي:

طبقة الحكماء : ونعنبر من أرقى الطبقات وأفرادها فضلاء.

طبقة الجند : ودور هذه الطبقة الدفاع وحماية المجتمع ومؤسساتها من العدو الخارجي ويتميز أفرادها بامتلاك نفس مندفعة متدفقة بالحماس.

طبقة العمال: تتكون هذه الطبقة من بقية أفراد الذين لا ينتمون الى الطبقتين السابقتين وتحتل هذه الطبقة المكانة الدنيا بين طبقات المجتمع .

طبقة العبيد والرق : وهذه الطبقة لا يكترث بها افلاطون كثير لأنه في تصوره يعترف الا بالإنسان الحر.

نشأة المجتمع عند أفلاطون:

يؤكد أفلاطون على أن الحاجة الاقتصادية أي حاجة الانسان الاقتصادية لأخيه الانسان هي الاساس الذي تقوم عليه الحياة الاجتماعية، فكان ينظر نظرة نفعية الى ضرورة الاجتماع والحياة الاجتماعية [1].

ومنه نستنتج ان افلاطون يعطي تفسيرا اقتصاديا لنشأة الحياة الاجتماعية من خلال ما ذكرناه سابقا من عوامل كتقسيم العمل والتخصص لأنه يرى ان كل فرد لديه مجموعة

---

[1] ـ المرجع السابق ، ص46 .

من الاستعدادات الخاصة بكل نوع من العمل ويجب في نظره ان تحصر قوى الفرد في موضوع واحد ولا يمكن توريعها على مجموعة من الاعمال.

بحيث تكون الأشياء أوفر وأجود نوعا وأسهل إنتاجا إذا التزم العامل بما يميل اليه طبعه من الاعمال وتتمته في وقته الخاص.

أنواع المدن:

قسم افلاطون المدن الى عدة أنواع على أساس فئة الحكم.

المدينة الكاملة: هي تلك التي يكون الحكم فيها للعقل وبالتالي للخير وتتوافر في هذه المدينة في ظل هذا الحكم صفات الحكمة والعفاف والشجاعة والعدالة.

المدن غير الكاملة: وهي التي ينقلب فيها الترتيب الطبيعي ولا يصبح للعقل والمعرفة أي مكان وتحل محله الطمع والبخل.

القوانين:

أعطى أفلاطون قيمة وأهمية كبيرة للقوانين وأكد على أهميتها في الحياة البشرية وليس أدل على ذلك من أنه خصص مِؤلفا أسماه القوانين، وأنه بدون قوانين سيتحول الناس الى طغاة يعتدي القوي على الضعيف، ومنه فهو يرى أن أية دولة لا تقوم على العدل والقوانين مهددة بالانهيار وأن كل الفضائل هي فروع العدالة، وتناول في هذا السياق المرأة وأقر بضعفها عن الرجل وأن القوانين هي التي تحميها من ظلم الرجال؛

وتناول كذلك التطور الاجتماعي وتحدث عن طبيعة التطور الاجتماعي والزمن الذي يستغرقه ليبلغ مداه وهذا من خلا محاولة فهمه للمجتمع وتحليله لظواهره فكان ينظر الى المجتمع على انه كل تترابط اجزاءه لتكون كلا متساند [1].

السكان:

[1]-المرجع السابق ، ص 50

تناول افلاطون بعض النقاط الخاصة بالسكان من خلال جمهوريته ومجتمعه المثالي فانطلاقا من المنطق المثالي الذي يبحث عن مجتمع متكامل حاول افلاطون ان يربط بين حاجات المجتمع وموارده من ناحية، وعدد السكان من ناحية أخرى بحيث حدد عددا معينا من السكان لجمهوريته عددا لا يتخطاه ليتلاءم مع حاجات السكان مع موارده وقدرات المجتمع.

ثانيا : أرسطو (384 ــ 322) ق.م

عارض ارسطو استاذه افلاطون في جوانب معينة.

بالنسبة للدولة الفاضلة متى جمعت بين الفضائل الثلاث استطاعت أن تحقق (العدالة) كما تتحقق (لفضيلة) في النفس الإنسانية.

وليست هذه الطبقات منفصلة اجتماعيًا ولكنها مرتبطة وهي في مجموعها تكون وحدة حية فالدولة الفاضلة هي جماعة من أفراد أحرار متساويين يرتبطون فيما بينهم بأواصر الإخوة ويقصد كل منهم إلى تحقيق وظيفته الاجتماعية في ظل طائفة من القوانين العادلة التي تضعها طبقة الحكام وهي طبقة مطبوعة على حب العلم والفلسفة فلا يصدر منها إلا ما هو عادل وفاضل. هذه المدينة الفاضلة لا يغرق أهلها في طلب الملاذ أو الجاه والشهوة، ولا يسرفون في طلب المال ويعيشون في أسره وأحد دعامتها العدالة [1].

من جانب آخر يقرر أرسطو أن الخير هو السعادة التي هي عبارة عن فاعلية النفس، ويقول أرسطو أن أفلاطون قد أصاب في تقسيم النفس قسمين، قسم عاقل وأخر لاعاقل، ولقد عاد أرسطو فقسم الجزء اللاعاقل جزئيين: جزء نباتي (يوجد في النبات) وجزء شهواني (يوجد في كافة الحيوان)

[1]–مصطفى الخشاب: علم الإجتماع ومدارسه، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1979، ص46–47.

ويعتبر من اشهر الفلاسفة عبر التاريخ و أكثرهم تأثيرا على الأجيال المتعاقبة، وأرسطو كان يبني كتاباته ع ى ما أجراه من ملاحظات ، وكان استقرائيا وعندما يقارن "بولوك- pollock" بين المفكرين افلاطون و أرسطو يشير الى اننا لم نعد نتأثر بسحر أسلوب افلاطون وعظمة خياله وافلاطون كمن يجلس في بالون يطير به في الهواء ويأخذ فكرة عن بعض الأشياء على سطح الأرض ويشق الطريق من خلال الضباب، في حين ارسطو يعمل على سطح الأرض ويشق الطريق بنفسه والانسان يعجب بعقله في تناول الموضوع.

ويعتبر ارسطو رائد نظرية التطور وهذا من خلال دراسته لأصل الدولة والمجتمع قدم لنا نظرية ولكن عندما قدم لنا كتابه السياسة لم يستهله بموضوعات مجردة ثم حيث تناول مباشرة مناقشة تحليله لأصل الدولة ومنفعتها وأشار الى انه من اجل استمرار العنصر البشري يجب ان يتحد الجنسين لأنه الأساس في استمرار الدولة في الوجود ثم يأتي بعد ذلك العلاقة الضرورية بين السيد والعبد وبالتالي هناك علاقتان أساسيتان الأولى هي علاقة الزوجين الزوج بزوجته والثانية هي القائمة على الطبيعة لتوفير الحاجات اليومية للانسان [1].

وتصور أرسطو أن الاسرة القائمة على رجل واحد ومن امرأة واحدة هي الأسرة الأمثل لبقاء المجتمع وتطوره، وكان ارسطو من اشد المؤمنين بالحق الطبيعي للعبودية، فالأشخاص الموهوبون بالمعرفة والفراسة جعلتهم الطبيعة حكاما وهؤلاء الذين لا يملكون سوى القوة الجسدية مع قليل من التفكير عليهم القيام بالخدمات، وليس هذا مجرد نوع من التأمل أو التفكير بل كان مقتنعا اقتناعا تاما بالبيانات الأمبريقية المتوافرة عن الصدق العملي لهذه الفكرة.

ويعتبر أرسطو الأسرة أول ارتباط بين الناس، ويلي ذلك القرية التي تنشأ هن اتحاد مجموعة من الأسر، والقرية أكثر كمالا من الأسرة لأنها لا تكتفي بتوفير الحاجات

---

[1] - عبد الهادي الجوهري ، أصول علم الاجتماع ، دار الكتب ، القاهرة ، 1999 ص 16

اليومية للإنسان ، والقرية في نظر ارسطو في صورتها الطبيعية تجمع تكويني خالص وهي مستمدة من الأسرة [1].

والدولة هي الشكل الثالث من المجتمع وهي أسمى هذه الاشكال وتعتبر اتحاد مجموعة من القرى تحقق الاكتفاء الذاتي لنفسها، واي دولة تستمر في الوجود هذا راجع لكونها وفرت الظروف المناسبة للتطور الكامل للطبيعة الاجتماعية للإنسان والسبب الحقيقي في كل هذا عند ارسطو هو ان الانسان كائن اجتماعي بالطبيعة ومنه فالدولة ليست خلقا مصطنعا بل نشأت بصورة طبيعية عن حاجات وميوله الطبيعية، والحيوانات كلها كائنات طبيعية ولكن الانسان كائن اجتماعي بسبب قوة النطق أو الكلام، ويرى ارسطو في نفس الوقت أن أي شخص قادر ان يعيش في عزلة تامة عن المجتمع أو يريد تحقيق ذلك هو شخص شاذ غير طبيعي، ويعتبر ارسطو الدولة بمثابة التنظيم السياسي للمجتمع وميز بين المفهومين ويبدو انه يعتقد في وجود مرحلة سابقة على ظهور الدولة وأن الدولة ضرورية لكي يمكن التغلب على الشروط الطبيعية للإنسان، ولكن اذا أخذنا كتاباته ككل يبدو أنه لا يعتقد في أن الدولة ثمرة النمو العضوي.

وفي حديثه عن السياسة يشير ارسطو في عبارة واضحة وصريحة الى النظرية العضوية للمجتمع، وهي نظرية شاعت في التاريخ وصاغها صياغة دقيقة عدد من العلماء خلال الجزء الأخير من القرن التاسع عشر ومن اشهرهم سنسر spenser ، وشفل schaffle، وورمز worms ، ولكن ارسطو لم يعقد المماثلة بين المجتمع والكائن العضوي ومع ذلك فمن الواضح أنه فهم المبدأ فهما كاملا ويتكون المجتمع من عدة نظم، نظام الاستمرار في الوجود ويتمثل في الصناع والرعاة والعمال ونظم التوزيع ويتمثل في التجار ونظام الإدارة والحكم ويتمثل في المحاربين والمشرعين والحكام والقضاة .[2]

---

[1]- نفس المرجع، ص 17.

[2]- نفس المرجع، ص 19.

وفي كلامه عن الاخلاقيات النيكومية وجد ارسطو الأساس الذاتي للدولة والمجتمع، ويتمثل هذا في الأساس في الصداقة وقد نشأت هذه الفكرة عن فكرة أخرى كان قد أشار اليها في مستهل كتابه وهي أن الانسان كائن اجتماعي بطبعه.

وبسبب ميل الانسان للمعاشرة وهو ميل كامن يريد أن يكون له أصدقاء ولا يشعر بالسعادة الا مع أصدقائه، فالمجتمع أو الرابطة هي الحافز للصداقة، والصداقة هي الصورة الملموسة للطبيعة الاجتماعية للإنسان.

وأعطى ارسطو بناءا للدولة المثالية فيعتبر أن الدولة يجب أن تكون دولة مدنية صغيرة حيث ينبغي أن يعرف المواطنون كل ومنهم الأخر، ورغم أنه هاجم الشيوعية الا أننا نجد في كثير من أفكاره اثار لها ، مثل الوجبات المشتركة وغيرها .

نظريات أرسطو :

يعتبر ارسطو من اعظم المفكرين تأثيرا في الفكر الاجتماعي بسبب عمق فهمه للعمليات الاجتماعية وتأثيره القوي في الفكر الاجتماعي في العصور الوسطى ، فقد أدخل ارسطو المنهج الامبريقي المطرد في دراسة الظواهر الاجتماعية وتأكيده المباشر والقاطع بأن الانسان كائن اجتماعي بطبعه ، وأوضح ارسطو تفسيرا للتطور الاجتماعي على أساس المنفعة وهو توسيع للطبيعة الاجتماعية ومجال الرغبة والحاجة للمجتمع ، ويرى أن الاستقرار الاجتماعي هو الغاية التي يجب أن تسعى اليها نظم المجتمع وأن المجتمع سابق على الفرد من ناحية، والاساس الذاتي للمجتمع عند ارسطو كامن في الصداقة .

وأخيرا نذكر أهم المبادئ التي انطوى عليها تفكير أرسطو :

ـ الدولة هي الاطار السياسي للمدينة وهي تنظيم حياة المواطنين تبعا للقانون .

ـ جوهر القانون بالنسبة لأرسطو العدالة التي تتحقق الا من خلال تطبيق القانون الأخلاقي الذي يرتكز حول الفضيلة والمساواة الاجتماعية .

ـــ التأكيد على دينامية المجتمع واعتبار التغير شرطا أساسيا لحياة المجتمعات الإنسانية فهو يرفض فكرة الثبات المطلق ويأخذ بفكرة النسبية الزمانية والمكانية فليس هناك نظام اجتماعي مثالي يمكن تطبيقه على كل الشعوب.

ـ الاهتمام بدراسة البناء الاجتماعي من الناحية المورفولوجية ومن الناحية الوظيفية ويتألف البناء الاجتماعي من ست طبقات ولكل منها واجباته ووظيفتها الاجتماعية.

ـ ابراز أهمية التوازن وكذلك التغير الديموغرافي فيرى ارسطو أن البناء يظل متوازنا بحكم التساند الطبقي، وممكن أن يختل هذا التوازن عن طريق التغير الديموغرافي، ومعنى هذا أن ارسطو يرى أن عدد السكان عندما يكون متوازن يضمن للمواطنين الرخاء المادي ويضمن الحكام التقدم الفكري لتكون الحكومة صالحة.

ومن العوامل التي تؤدي الى ضعف البناء الاجتماعي العامل البيئي الجغرافي فعندما تحول البيئة الجغرافية دون تحقيق الوحدة الاجتماعية والسياسية لسكان المدينة كان يفصل بين أجزاء المدينة جبل او نهر فلا يتحقق التوافق التام بين الأنظمة الاجتماعية لكل أجزاء المدينة وبذلك يصعب الاحتفاظ بمقومات الوحدة.

ويعتبر فساد نظام الحكم من أهم عوامل القلق الاجتماعي ، وهناك في نظره عدة أشكال صالحة للحكم كحكومة الفرد الفاضل العادل وحكومة الصفوة الفاضلة العادلة ثم حكومة الجمهورية أو حكومة الطبقة الوسطى، فالمقابل ممكن ان تتعرض هذه الحكومات للفساد والطغيان فتصبح بما يسمى بالديموقراطية المزيفة.

وأخيرا نجد أن ارسطو يفسر ويحلل الثورات الاجتماعية التي كانت منشرة في اليونان في تلك المرحلة على أسس سياسية واقتصادية وسلالية وديموغرافية وبيئية.[1]

طبيعة الفكر الاجتماعي في القرون الوسطى المسيحية والإسلامية

[1] ـ نفس المرجع ص 22.

1/ الفكر الاجتماعي عند المسيحيين في العصور الاوربية الوسطى :

ـ العصور الاوربية وظهور المسيحية :

عرفت أوربا أكثر المدارس الفلسفية اليونانية في القرون الثلاثة السابقة على ظهور المسيحية هي مدرسة أتباع أفلاطون ومدرسة أتباع أرسطو والمدرسة الابيقورية والمدرسة الرواقية، وبدلا من أن يغزو التفكير الفلسفي اليوناني العقلية الشرقية انتهى بانتصار هذا الأخير ممثلا في العقيدة المسيحية التي انتشرت في جميع أرجاء الإمبراطورية وهكذا تحقق الامتزاج بين الشرق والغرب.

وكانت ثورات العبيد والطبقات المستغلة تتوالى ضد روما بدون جدوى، إلى أن نجحت المسيحية فيما فشلت فيه الثورات، فإن جميع الطبقات المغلوبة على أمرها اعتنقت المسيحية التي تنهى عن عبادة الامبراطور وتنادي بالمساواة أمام الله وتبشر بحياة أخرى ينال فيها المظلومون ما يستحقون من إنصاف فسهل بذلك على الكثيرين من رعايا الإمبراطورية ترك دياناتهم الوثنية وهجر ألهتهم القديمة التي لم تحميهم من ظلم الرومان.

أثر الديانة المسيحية في الحياة الاجتماعية :

لقد أثرت الديانة المسيحية في الاتجاهات الفكرية والسياسية التي سادت الإمبراطورية الرومانية، حقا إن المسيحية لم تحمل في بدايتها نظاما أو فكرا سياسيا محددا، وإنما حصرت نطاق اهتمامها في المسائل الدينية وحسب، ولكنها اجتذبت الطبقات الدنيا من الشعب الروماني خصوصا وأنها نادت بأن الخلق متساوون في نظر الخالق، وأنه لا فرق بين فرد وأخر بسبب الطبقة أو الفقر أو المنزلة الاجتماعية...ألخ، ولقد وقع المسيحيون تحت الاضطهاد الروماني فترة طويلة من الزمان، ولكن عندما اعترف الامبراطور قسطنطين بالمسيحية كدين رسمي للامبراطورية في القرن الرابع الميلادي، تغيرت الأوضاع فسادت

الديانة المسيحية وسادت على غيرها من العقائد وأصبحت هي الدين الوحيد المسموح به في الإمبراطورية الرومانية.

ولعل السبب الذي جعل الإمبراطور "قسطنطين" يعترف بالديانة المسيحية هو سبب سياسي في المحل الأول، ذلك أنه كان يحتاج الى تأييد الكنيسة، وبالتالي إيمان رجال الكنيسة ورجال الدين المسيحيين برمتهم وتأييدهم للدولة.

ولكن سلطة الكنيسة المتقدمة نحو الازدهار، ما لبثت أن قامت في مواجهة سلطة الدولة أو إمبراطور الدولة، خصوصا إذا حاول الامبراطور التدخل في شؤون الكنيسة وتعاليمها، فوجد المسيحيون أنفسهم أمام طريقين، أما أن يطيعوا الله أو أن يطيعوا الحاكم، وهم كانوا يفضلون الطريق الأول ومن ثم فلقد نشأت سلطتان سلطة دنيوية يرأسها الامبراطور وأخرى دينية يرأسها البابا، كما ذاعت العبارة القائلة (اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) وبذلك كان المسيحي خاضعا لنوع من الالتزام الثنائي بين الله والحاكم، ولقد كان من تأثير المسيحية أن ظهر مذهب الغايتين، غاية دنيوية متصلة بالدولة، وغاية أبدية متصلة بالكنيسة.

ولقد ازداد الصراع بالتدريج بين الكنيسة ورجال الدولة ابتداء من القرن العاشر حتى نهاية القرن الثالث عشر، ولم تعد النظرية التي تقرر نوعا من المساواة بين السلطتين الدنيوية والدينية قائمة فادعت الكنيسة أنها تملك السلطة القصوى دينية ودنيوية وتدخلت في تعيين الحكام، وتسيير دفة الشؤون السياسية مستندة الى القضية القائلة بأن سلطة الكنيسة تستمد مباشرة من الله بينما سلطة الدولة تن بثق من رجالها وليس من رجال الكنيسة.

ولعل هناك عوامل عديدة أسهمت في ازدياد نفوذ رجال الكنيسة وبالتالي ازدياد الصراع بينهم وبين رجال الدولة أهمها أن رجال الكنيسة استطاعوا أن يمتلكوا اقطاعيات شاسعة

تقترب مساحة من ممتلكات الحاكم الأمر الذي مكنهم من زيادة نفوذهم وضغطهم على الحكام.

وظهر صراع عنيف بين أنصار البابوية وأعدائها، الأولون يرون أن الكنيسة لها السلطة القصوى، والأخرون يؤون أن رجال الدولة هم وحدهم أصحاب السلطة الكبرى في المجتمع.

نماذج من مفكري المسيحيين القدامى:

القديس أوغسطين (354 ــ 430)م:

في كتابه مدينة الله الذي كتب بين 412ــ 426م يدافع أوغسطين عن المسيحية ضد الوثنية ويضع مقياسا أو معيارا لسمو النظم الاجتماعية وانحطاطها وانماط السلوك التي تحقق للفرد الغفران الإلهي أو تبعده عن هذا الغفران، ولقد سار اوغسطين مسيرة أستاذه الروحي افلاطون في تصويره لمدينة الله وفي نقده للملكية الفردية ومناداته بالملكية الجماعية، مؤيدا المبدأ القائل بأن ثروات الأرض قد أعطيت للأفراد على السواء.

انتقد فكرة الملكية الفردية لأن الله أعطى ثروات الأرض لكل الأفراد على السواء ولكن ذهب أوغسطين الى أن ذلك لا يعني الغاء الملكية الفردية تماما، فيمكن للأفراد أن يتمكلوا ، ولكن شريطة أن يعطوا للفقراء جانبا من ثرواتهم على اعتبار أن ذلك يمثل جزءا من النظام الإلهي الاجتماعي، وهي مسؤولية الأغنياء في كفالة الحياة الكريمة للفقراء.

الشريان الرئيسي الذي وصلت عن طريقة فلسفة أفلاطون إلى الغرب المسيحي في العصور الوسطى كان يتمثل في شخصية القديس أوغسطين، ذلك أن أوغسطين كان قد تأثر قبل اعتقاله المسيحية ــ بالمبادئ الأفلاطونية التي اطلع عليها في بعض كتابات شيشرون

وأفلاطون، ومن ثم اتخذ هذه المبادئ نقطة البدء عندما شرع يفكر في وضع فلسفة دينية.

ويرى أوغسطين أن العالم منذ سقوط أدم الى اليوم انقسم الى مدينتين أما إحداهما ستحكم مع الله حكما سرمديا ، وأما الأخرى فستظل مع الشيطان.

وأن المدينتين الأرضية والسماوية تمتزجان إحداهما بالأخرى في هذه الدنيا، أما في الحياة الأخرى فسيتميز الرشد من الغي، إنه ليس في مستطاعنا أن نعرف في هذه الحياة من ذا يكون في نهاية الأمر من زمرة الأخبار، ليس في استطاعتنا معرفة ذلك حتى عن أعدائنا الظاهرين، ومدينة الله قوامها جماعة الأخيار، والعلم بالله لا وسيلة له إلا عن طريق المسيح، فهناك أشياء يمكن معرفتها بالعقل، أما عن سائر المعرفة الدينية فالحصول عليها يكون بالكتاب المقدس.

ولقد تصور أوغسطين أن الانسان يتكون من عنصرين رئيسين هما الروح والجسد ولذلك فإنه ينتمي الى مملكتين أو عالمين هما عالم المادة وعالم الروح، والثاني أسمى من الأول، ومع أنه لم يذهب الى حد المناداة بإفناء الجسد أو تعذيبه كوسيلة للخلاص إلا أن على الانسان دائما أن يسعى الى السيطرة على قوى الشر التي تنتج عن غرائز الانسان وعن العنصر المادي الذي يمتلكه، وهو في هذا الصراع مع قوى الشر إنما يرنو دائما الى خلود الروح حيث الحقيقة الأبدية.

ويقوم منهج أوغسطين على أن الدين لا الفلسفة هو سبيل السعادة والنماء، لأن الفلسفة لا تتعدى مرحلة المعرفة النظرية في محاولتها التوصل الى الله وبلوغ السعادة، بينما الإيمان الديني يمكن المؤمن من التوصل الى الله بالتجربة الوجدانية القائمة على الاعتقاد والشعور والعاطفة والإرادة والشوق وبذلك يحقق لنفسه الطمأنينة والسعادة.

ويقوم منهجه ثانيا على أن الايمان شرط للفهم، كما أن الفهم شرط للإيمان.

ويوضح أوغسطين أن وجود العالم وقوته ونظامه الدقيق لا يمكن أن يكون من ذاته بل من موجد حكيم هو الله، وله دليل أخر يستند الى الحقائق العقلية، فيقول بأن العقل يصل الى الحقائق بان يكتشفها لا بأن يخترعها.

وتطرق لمشكلة وجود الشر في العالم وأن الوجود هو الخير، والخير هو الوجود وهو فيض صادر عن الله مصدر الوجود والخير، وأن الشر ليس له وجود إيجابي بل سلبي فهو عدم الخير، أي هو نقص الخير ومادام الشر نقصا فيكون مصدره المخلوق لا الخالق ومنشأه الإرادة، فالله خلق الكائنات العاقلة حيث خيره وأعطاه الإرادة، وقد نتج الشر عن عدم اختيار المخلوق للخير.

توما الاكويني (1225 ـ 1274م):

امتازت فلسفة بالتفرقة الواضحة بين العلم واللاهوت فقال أن الفلسفة لا يمكن أن تقدم ادلة واضحة لإثبات مبادئ المسيحية، لأن العقل البشري يتقبل هذه المبادئ، والاعتقاد فقط أنها من لدن الله، وأقصى ما يمكن أن تقوم به الفلسفة هو تنفيذ مزاعم ضعاف العقيدة والمتشككين في الدين، على أنه ثمة عنصرا مشتركا بين الفلسفة واللاهوت هو اننا لا ننتظر من العالم أن يؤمن بعقائد اللاهوت التي تسندها السلطة المقدسة دون أن يقدم الأدلة الفلسفية على وجود الله وماهيته.

وتقوم فلسفة توما الأخلاقية على أساس أن الشر غير مقصود لأن الكائنات كلها ترمي الى التشبه بالله في الخير كذلك يقول أن سعادة البشر الكاملة تقوم على التأمل في الله لأعلى اللذائذ الدنيوية، لأن الله هو الغاية القصوى والعقل الطبيعي هو مجموع الفوائد التي تقر الخير وتنبذ الشر.

وكان توما الاكويني أرسطي النزعة وأكد ما ذهب اليه ارسطو من أن بالإنسان غريزة حب الاجتماع، ثم ذهب الى أن المجتمع المدني يشمل ثلاثة أفكار:

ـ الانسان اجتماعي بالطبيعة وأن المجتمع هو الوسيلة الطبيعية للإنسان لكي يحقق أغراضه.

ـ المجتمع يقوم على وحدة الغرض وتحقيق الأمال المشتركة التي يستهدفها الأفراد الذين يتكون منهم.

ـ لابد من وجود سلطة عليا توجه المجتمع نحو الصالح العام تساعد الحكام على اصطناع الوسائل للوصول الى تحقيق الأهداف الاجتماعية، وذلك لا يتحقق الا بتنظيم سياسي واسع يقوم على اتفاق بين الحاكم والمحكومين، والقانون الذي يخضع الأفراد له لا يمثل رغبة الحاكم بل يمثل رغبة المجموع أو رغبة الأمير الحاكم كممثل للجماعة.

وفي اعتقاد توما الاكويني أن الانسان اجتماعي بالغريزة أو بالطبع كما ذهب أرسطو، وبناء عليه فإن الانسان لا يستطيع أن يعيش بلا مجتمع لأن المجتمع هو الوسط الذي يحقق فيه الانسان إنسانيته.

ويرى كذلك أن المجتمع إنما ينبني على الخدمات المتبادلة أو على تبادل الخدمات التي تؤدي الى المجتمع الأفضل، ورتب على ذلك ضرورة أن يكون هناك نوع من التخصص في الأعمال يقوم بين الطبقات والفئات والجماعات الاجتماعية المختلفة لتنتج كل منها ما يحتاج الأخرون إليه من سلع وخدمات.

كما بحث الاكويني في تأثير الظروف المناخية على العادات والتقاليد والعقلية السائدة في المجتمع على غرار ما صنع أرسطو، مؤكدا سمو المناطق المعتدلة ومستغلا هذه الفكرة للتدليل على تفوق الشعوب المسيحية على غيرها من الشعوب الأخرى.

وتكلم عن مسألة وظائف الدولة التي حصرها في أمور أربعة وماعدا هذا من أمور أبدية فهو يخص الكنيسة:

1ـ تحقيق الأمن والطمأنينة في الحياة وتأمين الأفراد من الجوع والأخطار.

2ـ ضمان العدالة بواسطة التشريعات القانونية.

3ـ ترويج الحد الأدنى من الأخلاق بمساعدة الكنيسة، التي تعمل أساسا للحفاظ على الحياة الأخلاقية ونقول الحد الأدنى من الأخلاق، لأن الدولة في اهتمامها بالأمور الدنيوية الفانية تتجه نحو الأفعال اللاأخلاقية.

4ـ حماية الدين وفي حماية الدولة للدين محافظة ومساعدة الكنيسة ومن هذا المنطلق الأخير نجد أن الدولة ترتبط ارتباطا وثيقا بالغاية الأبدية وذلك لكي توفر لأعضائها الظروف الملائمة التي تمكنهم من ممارسة سلطة التأمل فيما هو أبدي تحت إرشاد الكنيسة.

وقد أولى القديس توما الأكويني جل اهتمامه للبحث عن القانون أصله ونشأته وأركانه وأفاض فيه، وللقانون عند توما الأكويني أربعة أنواع:

ـ القانون الأزلي: يطابق التدبير الإلهي للعالم أو هو القانون الذي يحكم به العالم، وهو الحكمة الإلهية المنظمة للخليقة، ومن ثم فهذا القانون يسمو على الطبيعة البشرية ويعلو فوق فهم الانسان، ومع ذلك فهو ليس غريبا عن الادراك الإنساني أو مضادا لقواه العقلية

ـ القانون الطبيعي: هو بمثابة انعكاس للكلمة الإلهية على المخلوقات وهي تتجلى في رغبات الإنسان الطبيعية التلقائية في فعل الخير، ومعنى هذا أن القانون الطبيعي هو القانون الذي يحكم به العقل أو النفس الفاضلة التي تتأثر بالقانون الأزلي.

ـ القانون الالهي أو المقدس: ويتمثل في الشرائع والأحكام التي أتت عن طريق الوحي أو التبليغ كالشريعة الخاصة التي أنزلها الله على اليهود وتشريعات المسيحية .

ـ القانون الإنساني: ولما كان من المتعذر تطبيق الأنواع الثلاثة السابقة للقانون على بني البشر تطبيقا كليا وعاما، فلقد قام القانون الإنساني الذي وضع خصيصا ليلائم الجنس البشري، وهو قانون إنساني خالص، وإن كان لم يأت بمبادئ جديدة إذ هو مجرد تطبيق للمبادئ العظمى التي سادت من قبل العالم.

والقانون الازلي والقانون الإلهي يجسمان الغاية من اللاهوت المسيحي، فالقانون الأزلي هو تخطيط العالم باعتباره الغاية العظمى للاله الخالق، والقانون الإلهي هو إرادة الله التي تجلت في العهدين القديم والجديد.

ويرى توما الاكويني أن طاعة القانون واجبة طالما كان عادلا أما القانون الظالم إذا كان معارضا للقانون الطبيعي وللقانون الإلهي وللقانون الأزلي فلا تجوز له الطاعة بأي حال من الأحوال أما إذا كان معارضا لحق ثانوي فرعي فيطاع متى كانت مخالفته أشد على المجتمع.

الفكر الاجتماعي عند المسلمين القدامى في القرون الوسطى:

جاء الإسلام كدين وشريعة اجتماعية وفكرية ومعرفية واقتصادية وسياسية وثقافية مميزا، وهذه السمة هدفت إلى تغيير نمط الفكر البشري إلى ما فيه الخير والصلاح، فركز الإسلام على ضرورة تغيير العادات والتقاليد والنظم الجاهلية المختلفة والسلبية، وطرح للعقل البشري البدائل المهدة للتخلص من الشرور والآثام، وهو ما ظهر بوضوح في طبيعة الدين الإسلامي وتركيزه على المساواة والتكافل والعدالة، تحديد حقوق الإنسان وواجباته ووضع نظم محددة لأساليب الجزاء والعقاب، كما ناقش قضايا هامة تشغل اهتمامات العقل البشري مثل العلم، الفقر، المساواة، العدالة، الإنتاج، العمل، توزيع الثروة، الحرية...الخ.

لذلك يمكن القول أن المبادئ والمفاهيم والقيم التي تضمنتها الشريعة الإسلامية أسهمت في ظهور علماء ومفكرين وفلاسفة ومصلحين مسلمين استمدوا أفكارهم وأرائهم من هذه الشريعة، أو على الأقل محاولة تكييف مانهلوه من الفلسفات الأخرى مع ما يتوافق ما تضمنه الدين الاسلامي، فجاءت طروحاتهم متميزة حيث كتب لها الاستمرار والامتداد نظرا لخصوصيتها، مما ساهم بلا شك الى حد كبير في ازدهار ورواج الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى.

تعريف الفكر الإسلامي هو كل ما أنتجه العقل الإسلامي في كل المجالات وبخصوص كل الإشكاليات والقضايا المرتبطة بالوجود والطبيعة والعلاقات والحياة ولكن من وجهة نظر إسلامية، أي خاضعة للمنهجية الإسلامية التي حددتاه الشريعة الإسلامية ابتداءا، وبذلك يتم إخراج كل الفلسفات والأفكار والمفاهيم التي تعتمد خلفية عقدية أو فلسفية غير إسلامية.

ـ خصائص منهج التفكير عند المسلمين:

1ـ التعدد والتنوع والشمولية: وهو ما يقتضيه مضمون شريعة الإسلام للدنيا والاخرة، للنقل والعقل، فيحث الإنسان على بذل جهده للوصول الى اليقين، ويعيب على أهل الظن، قال تعالى " ...إن الظن لا يغني من الحق شيئا".

2ـ وحدة المعرفة: التي تربط بين أجزاء الوجود الكوني رغم اختلافها في كل واحد.

3ـ تكامل عالمي الغيب والشهادة: فالعقل والنقل في منهج التفكير الإسلامي متجاوران، وكل واحد يخوض في مجاله، فالعقل مجاله العلم الظاهر، والوحي مجاله العلم الباطن، والغيب لله وحده.

4ـ العقلانية: قيمة العقل في الإسلام تقوم على أسس وهي قدرة اكتشاف العالم الخارجي مع الواقع وقدرة الربط والتحليل والاستنتاج للوصول لمعرفة الله.

5ـ الوسطية والاعتدال: فالحضارة الإسلامية عبر تاريخها لم تعرف تناقضا بين الروح والجسد أو بين الدنيا والاخرة وبين الدين والواقع، كما حصل في بعض الحضارات الأخرى.

6ـ التجديد: ويعتبر سبيلا لاستمرار الدين وامتدادا لتأثيره، وذلك بتجديد الأصول بإزالة ماعلق بها من شوائب، والفروع والنوازل المستجدة الناجمة عن تغير الأحوال عبر الزمان والمكان.

7ـ الإنفتاح: كما حدث في القرن 03 و 04 حيث ترجم المسلمون كثيرا من المؤلفات الأجنبية المختلفة للإستفادة من منافعها، واستبعاد ما فيها من ضرر.

8ـ الإستناد إلى القيم والمعايير الأخلاقية: حيث نجد أن الشرع اشترط الاستقامة والتزام المسؤولية لسلامة العقل ويقظته، ليتوجه إلى النفع ودفع الضرر لتحقيق الناس في دينهم وحياتهم.

ـ مضامين الفكر الاجتماعي عند المسلمين:

جاءت المبادئ التي نادى بها الإسلام والتي وردت في القرآن والسنة والأحاديث النبوية الشريفة تحمل الكثير من المفاهيم والقيم التي تصلح لأن تكون منظومة حياة، والتي يمكن أن نذكر منها:

ـ تضمنت الآيات القرآنية تنظيما اجتماعيا شاملا في نواحي عديدة (الأخلاق، الأسرة، الاقتصاد، السياسة، القانون، العلم، المعرفة،...) فكانت سببا في خلق نشاط فكري تناول العديد من النواحي.

ـ اهتم القرآن الكريم بإبراز القصص وما صاحب ذلك من وصف المجتمعات مشيرا إلى الاختلافات بينها في العادات والتقاليد وكذا لأخذ العبر.

ـ ركز القرآن الكريم على الناحية العلمية الوضعية والدعوة للبحث العلمي عن طريق العقل والمعرفة، تأكيدا على الربط بين الظواهر الاجتماعية أو بين السبب والعلة، كأن يكون فساد الحال نتيجة لفساد الأخلاق.

ـ أن هناك دعوة لاستخدام الاستدلال والاستقراء مثل قوله تعالى: "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين".

ـ في النظام السياسي أخذ الإسلام بنظام الشورى.

ـ في المجال الاقتصادي سمح بالملكية الفردية ولكنها مقيدة وذات وظيفة اجتماعية عامة.

ـنماذج من مفكري المسلمين القدامى:

ـ أبو نصر الفارابـي (870ـ 950)م

ولد الفارابي في (وسيج) من مدن فاراب بأسيا الوسطى (التركستان) عام 870م ولقب بالمعلم الثاني بعد أرسطو وله مؤلفات عديدة في الفلسفة والمنطق والعلوم والسياسة، ولقد

تأثر الفارابي كثيرا بالفلسفة اليونانية وخاصة كتابات افلاطون التي ساقها في جمهوريته، ولكنه ارتكز على الإسلام وأحكامه وأضاف الى هذا كله تجاربه.

ويهتم الفارابي بتحديد مكانة الانسان في المجتمع وهو يصف الأمة بالجسم الواحد الذي لا يستقيم أمره إلا بالتضامن والتعاون وبتوزيع الأعمال وتنسيقها على أساس الاستعداد والموهبة والقدرة، وهي مماثلة عضوية حيث يرى الفارابي انه كما في البدن أعضاء يخدم بعضها بعضا فكذلك في المدينة أفراد يخدم بعضهم بعضا حيث تكون "المدينة حينئذ يخدم بعضهم ببعض مؤتلفة بعضها ببعض أو مرتبة بتقديم بعض وتأخير بعض، كترتيب الموجودات الطبيعية وائتلافها".

أما بالنسبة إلى الدولة وبالنسبة على أرائه في السياسة والحكم فقد ذهب الى أن الدولة لا تتقدم إلا إذا كان على رأسها الحكماء والفلاسفة المعروفون بكمال العقل وقوة الإدراك وقوة الخيال وهو هنا قريب من الفلسفة الأفلاطونية التي أعطت أصحاب اللازمة لتحقيق الفضيلة التي اعتبرها أفلاطون غاية المجتمع السياسي.

ـ المدينة الفاضلة:

ومع أن المدينة الفاضلة ظلت أمرا مثاليا (مثل جمهورية أفلاطون) صعب التحقيق فقد رأى أن هناك صفات فطرية لازمة في الحاكم والتي بلغت اثني عشر صفة.

وقد ذهب الفارابي إلى أن بني الإنسان في حاجة إلى الاجتماع للتعاون فيما بينهم إذ يقول إن كل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج في قوامه وفي أن يبلغ كمالاته إلى اتباع أشياء كثيرة لا يمكن أن يقوم بها وحده، بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشئ مما يحتاج إليه وفكرته هنا إنما تشبه فكرة أفلاطون الذي يرجع أساس الاجتماع الى الحاجات المادية للأفراد.

يقسم الفارابي المجتمعات الإنسانية الى فئتين كبيرتين، مجتمعات كاملة ومجتمعات غير كاملة.

ـ المجتمعات الكاملة: وهي ثلاثة أولها وأكملها اجتماع الجماعة كلها في المعمورة أو المجتمع العالمي ثم المجتمع الأوسط وهو المجتمع الذي يشمل أمة، ثم المجتمع الأصغر وهو الذي يشمل مدينة، ويلاحظ هنا أن الفارابي يتأثر بالفكر الإسلامي وهي فكرة العالمية، فالإسلام خاصة والأديان عامة تدعو الى تحقيق فكرة العالمية وتمقت القوميات وتجزئة العالم إلى دول متطاحنة.

المجتمعات غير الكاملة: فهي على ثلاث أنواع، المجتمع الفردي الذي يشمل قرية، والمجتمع الذي يشمل سكان حي أو جزء من مدينة وأخيرا المجتمع المنزلي الذي يشمل أفراد أسرة واحدة، وتقسم الأعمال في المدينة حسب الطبقات المختلفة بحيث تشكل أعلاها وأهمها أقرب الطبقات من الرئيس وبالعكس كل الأعمال الدنيئة لأبعد الطبقات من الرئيس ، وتقاس دناءة الأعمال إما بالنسبة لموضوعها أو ما تشتمل عليه ، وإما بالنسبة لعدم أهميتها وأخيرا بالنسبة لسهولة القيام بها وعدم تعقدها.

ـ أبو حامد الغزالي (1058ـ 1111) م

ولد في منتصف القرن الخامس الهجري في مدينة طوس بخراسان ، ويعتبر حجة في علمه وقد أقام نظريته في الاجتماع والسياسة على تصور عضوي سبق به هربرت سبنسر حيث قارن بين الدولة أو المدينة وبين الجسم الإنساني ، وفي اعتقاده أن موضوع السلطة التنفيذية من أخطر الموضوعات ولذا فقد ذهب إلى أن الحكم الصالح لا يتأتى إلا عن طريق الأمير الصالح ومن ثم كان اهتمامه بالنصائح العملية التي توصل اليها عن طريق البحث ومشاهدة أحوال الدولة والتي قدمها إلى حكام عصره وأمرائهم.

ويعتبر الغزالي رائدا في الفكر الاجتماعي بسبب اهتمامه بالتنشئة الاجتماعية، وقد أوضح أن التنشئة الأولى للطفل يجب أن تكون على أساس من التربية الدينية التي تعمل على غرس مبادئ العقيدة في نفس الصبي منذ الصغر، حتى تثبت في عقله وتصبح واجهة لسلوكه.

ويبين الغزالي كيفية تزويد الفرد بالتربية الخلقية ويرى أن تربية الطفل تبدأ بتعليم القرأن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين وأن تبعد عنه أشعار العشق لأن ذلك في قلوب الصبيان بذور الفساد.

وبين أثر الجزاء في تثبيت السلوك الحسن وتعديل السلوك الردئ فيقول: "مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يكرمعليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس".

وينبغي أن يعلم الصبي طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه، وكل من هو أكبر منه سنا، ويجب ان يعود الصبي أداب المجالسة والاستماع والكلام، وأن يمنع من لغو الكلام وفحشه، ومن اللعب والسفه، فإن القاعدة الأساسية عند الغزالي في تأديب الصبيان هي حفظهم من رفاق السوء.

ويتحدث الغزالي عن الطبقات في المجتمع فيقول هناك ثلاث طوائف:

الأولى: الفلاحون والرعاة والمحترفون.

الثانية: طائفة الجندية والحماة بالسيف.

الثالثة: المترددون بين الطائفتين في الأخذ والعطاء ، وهم العمال والجباة وأمثالهم.

ويوضح تشابك العلاقات الاجتماعية فيقول: فانظر كيف ابتدء الأمر من حاجة القوت والملبس والمسكن، وإلى ماذا انتهى، وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا ويفتح بسببه أبواب أخرى وهكذا تتناهى إلى غير حد محدود ...

- عصر التنوير ونشأة علم الاجتماع -

إن الكثير من المفكرين والمختصين في فترات متباينة، بنوا اتجاها ومدارسا وفكرا أكدت ولا تزال تنادي بفكرة مفادها:

أن المفكر العربي المسلم "عبد الرحمان بن خلدون" قد سبق "أوغست كونت" إلى إنشاء وتطوير علم الاجتماع بأربعة قرون، وذلك من خلال مقدمته التي ناقش فيها طبائع العمران البشري وقوانين المجتمع الإنساني، فعالج بن خلدون معظم القضايا والمشكلات التي تعالج الآن في إطار علم الاجتماع.

لكن عمل بن خلدون لم يكتب له الإتصال والإستمرار ذلك لأنه واكب سقوط الحضارة العربية والإسلامية وصعود الحضارة الغربية، إضافة إلى الحواجز اللغوية والثقافية التي أخرت وصول وتعرف المفكرين الغربيين على أعمال بن خلدون وإنجازته.

لذلك فإن نشأة علم الاجتماع في الغرب كانت مستقلة عن نشأته في الشرق، فلقد كانت نشأته في الغرب على يد الفرنسي "أوغست كونت".

وهذه النشأة مرتبطة أشد الإرتباط بظروف التحول الإقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري التي مر بها المجتمع الأوربي في ذلك الوقت.

والواقع أن الحديث عن نشأة علم الاجتماع باتجاهاته الفكرية المختلفة لابد أن ينطلق من عصر التنوير أو فلسفة التنوير، ذلك لأن القضايا التي أثارتها هذه الفلسفة لعبت دورا كبيرا في تشكيل الإطار الفكري للعلم الاجتماعي الجديد سواء كان هذا الإطار متقبلا أو رافضا لهذه الأفكار.

لذلك سنوضح أولا ما هو عصر التنوير.

ماهية عصر التنوير: إن مصطلح التنوير ظهر في أوربا ويبدو أن "ريني ديكارت" (1596-1650) **كان أول من استخدم مصطلح التنوير بالمعنى الحديث، فهو يتحدث مثلا عن النور**

الطبيعي، الذي يقصد به مجمل الحقائق التي يتوصل إليها الإنسان عن طريق استخدام العقل فقط.

كتب "إيمانويل كانط" سنة 1784 مقالا في مجلة "برلين الشهرية" تحت عنوان: ما هو التنوير؟ ومما قاله فيه : "التنوير هو خروج الإنسان من قصوره الذي اقترفه في حق نفسه، وهذا القصور هو بسبب عجزه عن استخدام عقله إلا بتوجيه من إنسان آخر .. ويقع الذنب في هذا القصور على الإنسان نفسه عندما لا يكون السبب فيه هو الافتقار إلى العقل، وإنما إلى العزم والشجاعة اللذين يحفزانه على استخدام عقله بغير توجيه من إنسان آخر.."

كما أن عصر التنوير يدعى بعصر العقلانية بمعنى نشوء حركة ثقافية تاريخية دعيت بالتنوير قامت بالدفاع عن العقل والعقلانية كمبادئ ووسائل لتأسيس النظام الشرعي للأخلاق والمعرفة بدلا من الدين.

لذلك فهناك من اعتبر أن ذلك العصر هو بداية ظهور الأفكار المتعلقة بتطبيق العلمانية.

إضافة إلى ذلك فقد اعتبر رواد هذه الحركة أن مهمتهم قيادة العالم إلى التطور والتحديث وترك التقاليد الدينية والثقافية القديمة والأفكار اللاعقلانية ضمن فترة سميت العصور المظلمة.

فما هي العصور المظلمة ؟ من المعروف تاريخيا أن موقف الكنيسة وآراء رجالها كان يمثل في العصور الوسطى الجهل والتخلف والخرافة، فقلد طلبوا من المسيحيين الإيمان والإذعان لهم ولآرائهم في تفسير الظواهر الكونية مدعين أن الكنيسة والدين يختص بتفسير هذه الظواهر، وإن الخروج عليها كفر وإلحاد، ويكون الجزاء الطرد من رحمة الكنيسة.

ولقد فتش بعض العلماء فيما يطالبهم رجال الكنيسة به والإيمان والإعتقاد بصحته، فوجدوا أن هذه الآراء والتفسيرات خرافة لا يقرها العقل وجهل لا يقبله العلم، وظلام وتخلف، فأعلنوا ثورتهم على هذه الآراء وتلك الخرافات.

وتجدر الإشارة إلى أن علماء وأفرادا من الشعب لم ينتبهوا إلى ضرورة التفرقة بين رأي رجال الكنيسة والدين، وبالتالي صار الدين بالنسبة لهم –كما عرفوه من رجال الكنيسة– مرادفا للتخلف والجهل والخرافة، كما أصبح رجل الدين بالنسبة لهم داعيا إلى الجهل محاربا للعقل، وبالتالي تم تصوير الموقف على أنه صراع بين الدين والعلم، بين العقل والخرافة، بين التقدم والتخلف، وبين النور والظلام.

فكان مصطلح التنوير هو المعبر عن نتيجة هذا الصراع، ومن الجدير بالذكر أن قصته بدأت بين الكنيسة والعلماء منذ أيام العالم "نيكولا س كوبرنيكس 1473-1543 م" الذي أعلن عن آرائه في الطبيعيات والفلك ومركز الكون معارضا آراء الكنيسة، وانسحب ذلك الموقف على الدين بمفهومه العام.

- نشأة علم الاجتماع -

إن ظروف نشأة علم الاجتماع تصنف إلى ثلاث تطورات أساسية ترتبط ببعضها البعض، متفاعلة طوال فترات في التاريخ الأوربي، وهي متداخلة غير منفصلة عن بعضها البعض، وأن تصنيفها عبر 03 تطورات هو قصد التبسيط وتوضيح الأمور.

أولا/ التطورات الاجتماعية الاقتصادية:

لقد ظهرت تناقضات اجتماعية نمت وتطورات في النظام الأوربي الإقطاعي إبتداء من القرن 11 م أدت إلى صعود وظهور النظام الاجتماعي الاقتصادي الجديد المسمى الرأسمالية الصناعية.

وهو صراع بين الإيديولوجيا الراسخة للمجتمع الإقطاعي والتقدم العلمي والفلسفي الجديد.

بين الطبقات الإقطاعية والطبقة الجديدة النامية في قلب النظام القديم وهي البرجوازية، هذه الأخيرة التي طورت أسلوب مواجهتها الدينية (المذهب البروتستنتي) والفلسفية (فلسفة التنوير) والعلمية (التقدم العلمي والفني)

لذلك يمكن القول أن هذه التطورات الاجتماعية الاقتصادية تمثلت في ظهور نظام اجتماعي جديد وهو النظام الصناعي الرأسمالي وظهور المدينة الصناعية كمركز جديد للإنتاج بعدما كانت القرية هي المركز الأساسي للإنتاج في المجال الزراعي.

وبالتالي صارت المدينة مركز جذب لقوى العمل الموجودة في الريف، وصار البرجوازي هو المالك الجديد لوسائل الإنتاج الجديدة وهو طرف أول والطرف الثاني هو الطبقة العاملة الصناعية، وظهرت بالتالي الطبقة العاملة الصناعية المسماة البروليتاريا.

وظهرت طبقة تعيش في المدينة تبيع قوة عملها في سوق العمل فصار المعروض من قوة العمل متجاوزا على الطلب عليها، فانخفضت الأجور وزادت ساعات العمل، وخرجت النساء والأطفال إلى البحث عن العمل،... واتجهت الأفواج العاملة إلى التكدس في مناطق معينة المدينة وأطرافها مما أنتج الأحياء المتخلفة،...

هذا مضافا إليه ظهور صراع بين البرجوازية والبروليتاريا نتيجة إستغلال الأولى للثانية من خلال تعظيم أرباحها بكل الطرق واستغلال جهود العمال رغبة في الثراء السريع.

ويمكن ذكر مجموعة المشكلات التي ظهرت فيمايلي:

1) مشكلات المدينة الصناعية كالفقر والإزدحام والمناطق المتخلفة...
2) مشكلة الطبقات الاجتماعية والتغير في التركيب الطبقي.
3) مشكلة الصراع بين الطبقات في النظام الجديد.

وقد أثارت هذه المشكلات النوعية الجديدة، الفكر الاجتماعي بتياراته المختلفة الرجعية والليبرالية والراديكالية، كل منها يحاول أن يطرح ما يراه حلول لمثل هذه المشكلات، مما يمكن أنها مهدت لنشأة علم الاجتماع بمختلف اتجاهاته النظرية والفكرية.

ثانيا/ التطورات السياسية:

لقد حاول الثوريون وضع مقولات التنوير موضع التنفيذ في سبيل تقويض النظم الاجتماعية الناجمة عن النظام الإقطاعي السابق.

مثل إدانة الأوضاع السياسية القديمة، وإعلان حقوق الإنسان وقضية الديمقراطية التي أثارت قضايا مثل طبيعة الملكية والعلاقة بين الطبقات الاجتماعية والإدارة والمركزية. إضافة إلى فكرة المساواة الفردية، وأن القانون هو التعبير عن الإرادة العامة وللمواطن الحق في صياغته.

كما أن الثورة الفرنسية كان لها أثر كبير في هذه التطورات كتحويل النظام من إمبراطوري ذا سلطة مطلقة إلى جمهوري قائم على المساواة.

ثالثا/ التطورات الفكرية والفلسفية:

لقد استخدم المجتمع البرجوازي أسلحة فكرية وفلسفية في صراعه مع المجتمع الإقطاعي، فأولا حصلت المواجهة على أساس ديني حيث كانت الكنيسة تمثل قوة لا يستهان بها، فنشأ المذهب البروتستنتي في مواجهة الكنيسة الكاثوليكية، وانطلاقا مما يسمى بفلسفة التنوير التي لعبت دورا فكريا هاما ضد المجتمع الإقطاعي اللاهوتي، متمثلا في الثورة البرجوازية الفرنسية.

ولقد ركزت فلسفة التنوير على نقاط أساسية أهمها:

1) عقلانية الإنسان وقدرته على الوعي بمصالحه.
2) الكمال الإنساني بمعنى أن الإنسان يمكن أن يصل إلى درجة الكمال.
3) مشروعية نقد كل شيء فليس هناك مقدسات تستعصي على النقد.
4) مشروعية الثورة والتغيير.

لكن مع كل ذلك ظهر تيار تمثل في التيار الرومانسي المحافظ الذي حاول التأكيد على نقيض القضايا التي أثارتها فلسفة التنوير ونفي مشروعية الثورة الفرنسية.

في ظل كل هذه الظروف تبنى التيار الجديد كل من "أوغست كونت" و"دور كايم" الذين أكدا على بعد الإستقرار الاجتماعي.

لذلك يمكن القول أن أوغست كونت أنشأ علم الاجتماع بهدف إصلاح المجتمع الذي هزته الفلسفات النقدية والحركات الثورية على أساس من البحث العلمي والتفكير الوضعي.

رواد علم الإجتماع

إبن خلدون-Ibn Khaldoun
1332م-1406م

نسبه:

هو ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون، وذكر بن خلدون نسبه على هذا النسق وقال: "لا أذكر من نسبي إلى بن خلدون غير هؤلاء العشرة".

ميلاده ونشأته:

ولد ابن خلدون سنة 1332م في تونس، وتوفي سنة 1406م في مصر.

لأسرة من أصول أندلسية وكان لأسرته الكثير من النفوذ في إشبيلية ببلاد الأندلس، وقد هاجرت الأسرة مع بداية سقوط الأندلس في يد الأسبان إلى تونس وعاش ابن خلدون معظم حياته متنقلاً بين بلاد شمال أفريقيا، هذا بالإضافة لزياراته لأرض الحجاز.

كان بن خلدون سليل أسرة عريقة نابهة وبيت علم، فنشأ في مهد هذا التراث الذي تلقاه عن أسرته، كان أبوه معلمه الأول، قرأ القرآن وحفظه وتفقه في القراءات السبع، ودرس شيئا من التفسير والحديث والفقه، ودرس النحو واللغة.

ويذكر بن خلدون أسماء معلميه وأساتذته في كل علم وفن، ويذكر أيضا أسماء بعض الكتب التي درسها، ويبدو مما كتبه في ذلك أنه تخصص نوعا ما في درس الحديث والفقه المالكي وعلوم اللغة والشعر، ثم درس المنطق والفلسفة فيما بعد أثناء حياته العملية، وينوه، بن خلدون بتفوقه في درسها.

يعده المختصون أول واضع لعلم الاجتماع الحديث، سابقاً بذلك علماء الغرب، تمكن من تقديم عدد من النظريات الجديدة في كل من علمي الاجتماع والتاريخ، كان يهوى الإطلاع على الكتب والمجلدات التي تركها العلماء السابقين وذلك لكي تتكون لديه خلفية علمية

يستطيع أن يستند عليها في أفكاره هذا بالإضافة لتمتعه بالطموح العالي والثقافة الواسعة.

وله رأي في الظواهر الاجتماعية حيث عرفها بأنها عبارة عن القواعد والاتجاهات العامة التي تتخذ في مجتمع ما أساسا لتنظيم الحياة الجمعية وتنسيق العلاقات التي تربط بين أفراد هذا المجتمع بعضهم ببعض وتربطهم بغيرهم من أفراد المجتمعات الأخرى، ومن هذه الظواهر ما يتعلق بشؤون السياسة ـ التعليم ـ الاقتصاد ـ نظم إنتاج الثروة وتداولها وتوزيعها ـ الأسرة نظم الزواج والطلاق والقرابة والمواريث .[1]

من أعماله ومؤلفاته:

أتى "لسان الدين بن الخطيب 1313-1374م" وزير غرناطة الأندلس في كتابه "الإحاطة بأخبار غرناطة" على بعض مؤلفات بن خلدون فيذكر:

1-**رسالة في المنطق.**

2-**شرح قصيدة البردة شرحا بديعا دل به على تفنن إدراكه وغزارة حفظه.**

3-**لخص كثيرا من كتب بن رشد.**

4-**لخص محصل الإمام فخر الدين الرازي،**

5-**ألف كتابا في الحساب.**

6-**ويضيف بن الخطيب قائلا: "وشرع هذه الأيام في شرح الرجز الصادر عني في أصول الفقه بشيء لا غاية فوقه في الكمال".**

كما نجد كتبا أخرى:

[1] ـ محمد محمد طاهر أل شبير الخاقاني ، علم الاجتماع بين المتغير والثابت ، بيروت ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، القسم الأول ط 01، 1978، ص 24

7-رحلة ابن خلدون في المغرب والمشرق: وقام في هذا الكتاب بالتعرض للمراحل التي مر بها في حياته، حيث روى في هذا الكتاب فصولاً من حياته بجميع ما فيها من سلبيات وإيجابيات، ولم يضم الكتاب عن حياته الشخصية كثيراً ولكنه عرض بالتفصيل لمسيرته العلمية ورحلاته بين المشرق والمغرب، فكان يقوم بتدوين مذكراته يوماً بيوم، فقدم في هذا الكتاب ترجمته ونسبه والتاريخ الخاص بأسلافه، كما تضمنت هذه المذكرات المراسلات والقصائد التي نظمها، وتنتهي هذه المذكرات قبل وفاته بعام واحد مما يؤكد مدى حرصه على تدوين جميع التفاصيل الدقيقة الخاصة به لأخر وقت.

8-كتاب: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" وقد رتب هذا الكتاب في مقدمة وثلاث كتب:

-المقدمة: في فضل التاريخ وتحقيق مذاهبه، والإلماع بمغالط المؤرخين.

-الكتاب الأول: في العمران.

-الكتاب الثاني: في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم.

-الكتاب الثالث: في أخبار البربر وأجيالهم.

منهج البحث وأدواته عند "بن خلدون":

وظف بن خلدون تقنيات ومناهج في دراسته وتحليله للظواهر التي تكلم عنها، لذلك كانت كتاباته علمية وأقرب للموضوعية، ونذكر منها مايلي:

1) القدرة العلمية والمعرفة بأحوال المجتمعات وقوانين الطبيعة والحياة وعللها والإحاطة بطبائع العمران.

2) الملاحظة: إستعمل بن خلدون الملاحظة كأداة من حيث المشاهدة والمعايشة للوقائع والأحداث مما سمح له بوصفها وتفسيرها.

3) التحليل: وهذا منهج بن خلدون في الوصول إلى الأسباب التي تكمن وراء حدوث الظواهر.

4) **المقارنة: إستعمل بن خدلون المقارنة في فصول كثيرة من مؤلفه مثال ذلك: -مقارنة العصبية عند أهل البادية وأهل الحضر. -مقارنة تأثير المناخ في طبائع الناس في العديد من المناطق. -مقارنة طرق التعليم في بلاد المغرب والمشرق.**

5) **الإستقراء: إستعمل بن خلدون غالبا الإستقراء الناقص الذي تعتبر نتائجه غير يقينية، لكنها قريبة من اليقين. فكان في مؤلفه حريصا على عدم التعميم، إذ يستعمل لفظ "في الغالب" و"غالبا"، مثال ذلك قوله: "...وإن السعادة والكسب إنما يحصل غالبا لأهل الخضوع والتملق...".**

6) **النقد والتمحيص: حيث أن بن خلدون لم يتقبل ما جاءه من أخبار كتبها المؤرخون من قبله، لكنه رأى أنهم لم يستعملوا مناهجا علمية وأنهم كانوا ذاتيين مما جعل كتاباتهم لا تقوم على أسس صحيحة.**

-النقد: نقد الأفكار التي يتلقاها من غيره أو التي يلاحظها بنفسه، لأن تقبل كل شيء يؤدي إلى تقرير قضايا قد تكون غير صحيحة.

-التمحيص: هو غربلة المسائل وفرز الصادق منها والكاذب، والحق والباطل، والممكن منها والمستحيل.

أوغست كونت-Auguste Comte
(1857-1798)

لمحة موجزة عن حياته:

وقد أطلق كونت على الأول في الأونة الأخيرة بالبناء الاجتماعي إلا أنه قابل للنقد من حيث البناء الاجتماعي لوقوعه في اطار الحكم .[1]

[1] - محمد محمد طاهر أل شبير الخاقاني ، علم الاجتماع بين المتغير والثابت ، بيروت ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، القسم الأول ط 01، 1978، ص 22

ولد أوغست كونت في مونبلييه بفرنسا سنة 1798 من أسرة كاثوليكية شديدة التدين وكان موهوبا في العلوم الرياضية فالتحق بمدرسة الهندسة بباريس في السادسة عشرة، وهي مدرسة أنشأتها الثورة الفرنسية، وكانت ميالا للإطلاع وخاصة في الكتب الفلسفية. إتصل مع زملائه من مدرسة الهندسة بـ"سان سيمون" وحضر مناقشاته وانبهر بأفكاره التقدمية فعمل سكرتيرا له في 1817، ولكنه لم يستمر معه أكثر من 04 سنوات ثم انفصلا بسبب تقديم "سان سيمون" للإصلاح الاجتماعي على الإصلاح العلمي، فـ"كونت" كان يرى العكس، إذا كان يعتقد أن الإصلاح العلمي هو الأول، لأنه الخطوة الأولى للإصلاح الاجتماعي الذي كان موضع اهتمام "سان سيمون وأتباعه وسائر المصلحين، بسبب الفساد الذي انتشر في فرنسا آنذاك، فلم يكن "كونت" مستعدا للتنازل عن رأيه فاعتزل أستاذه وأعلن أراءه في عدة مؤلفات.

مؤلفاته:

- 1822 مشروع الأعمال العلمية الضرورية لإعادة تنظيم المجتمع.
- 1830-1842 دروس في الفلسفة الوضعية.
- 1842 دروس في الروح الوضعية.
- 1851-1854 مذهب في السياسة الوضعية.
- 1852 التعليم الديني الوضعي.

ظهور علم الاجتماع:

يقول أوغست كونت: (لدينا فيزيقا سماوية، وفيزيقا أرضية ميكانيكية أو كيميائية، وفيزيقا نباتية، وفيزيقا حيوانية، ومازلنا بحاجة إلى نوع آخر من الفيزيقا هو الاجتماعية، حتى يكتمل نسقنا المعرفي عن الطبيعة، وأعنى بالفيزيقا الاجتماعية ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعا لدراسته باعتبار هذه الظواهر من

نفس طبيعة الظواهر الفلكية والطبيعية والكيميائية والفيسيولوجية من حيث كونها موضوعا للقوانين الثابتة).

لذلك كان أول اسم أطلقه كونت على العلم الجديد هو "علم الطبيعة الاجتماعية = الفيزياء الاجتماعية = physique social" ثم أسماه بعلم الاجتماع sociology.

فقيام علم الاجتماع في عصر "كونت" جاء كضرورة اجتماعية وحاجة علمية ملحة حتمتها الرغبة في إصلاح المجتمع الذي هزته الفلسفات النقدية والحركات الثورية وإنقاذه من الفوضى الضاربة فيه، ذلك أن حالة المجتمع الفرنسي بعد الثورة اتسمت بـ :

-فوضى عقلية فاضطراب خلقي وفساد عام.

لذلك أكد أن تنظيم أي شأن من شؤون الاجتماع والأخلاق والسياسة والدين لن ينجح إلا إذا سبقه تنظيم عقلي للآراء ومناهج البحث وطرق التفكير، وذلك بتبني واتباع خطوات الفلسفة الوضعية الواقعية، وأن الفلسفة يجب أن تكون وسيلة لغاية أو منفعة عملية اجتماعية هي إعادة تنظيم المجتمع الفرنسي والأوربي، وذلك لا يتحقق إلا بتنظيم العقل (الفكر)، بمعنى لابد من تنظيم عقلي للآراء والأفكار والابتعاد عن الفوضى الفكرية أو العقلية التي تقود بالضرورة إلى الفوضى الاجتماعية.

ماهية فوضى العقل:

وهي تنتج عن تناقض أسلوبين من التفكير (الوضعي والميتافيزيقي) وكذا في فهم ومعالجة الظواهر، كمايلي:

أن العلماء والفلاسفة يتبعون التفكير العلمي عند دراسة ومعالجة الظواهر الطبيعية والبيولوجية.

لكنهم يتبعون التفكير الميتافيزيقي واللاهوتي عند دراسة ومعالجة الظواهر الإنسانية والاجتماعية.

والنتيجة: أن "كونت" يرى بأن ذلك يشكل تناقضا أساسيا في فهم ظواهر الكون والحياة، وهذا التناقض يؤدي إلى فساد في الخلق وفساد في السلوك، وبالتالي فساد في التنظيم الاجتماعي.

كيفية القضاء على فوضى العقل وإصلاح المجتمع:

للقضاء على الفوضى العقلية والاجتماعية والأخلاقية وتحقيق الإصلاح المنشود، إرتأى "كونت" ضرورة تعميم المنهج الوضعي وجعله منهجا كليا عاما وشاملا لكل ظواهر الكون [وحدة المعرفة الوضعية].

ومن استحقاقاته القضاء على ما تبقى من الفكر الميتافيزيقي ومظاهره، وأن يفهم الأفراد ظواهر الاجتماع إعتمادا على المنهج الوضعي بما في ذلك ظواهر الإنسان والمجتمع التي كانت تستبعد من التحليل الوضعي قبل أوجست كونت.

فالتنظيم العقلي حسبه هو في حقيقة الأمر تكوين منهج علمي يسير العقل على خطواته، وبمعنى آخر خضوع جميع الظواهر مهما كانت طبيعية أو اجتماعية للمنهج الوضعي، فكما أن للظواهر الطبيعية قانون علمي يحكمها، كذلك وبالضرورة للظواهر الاجتماعية والإنسانية قانون علمي يحكمها.

فما هي الفلسفة الوضعية ؟

تمثل المرحلة الثالثة للفلسفة العامة التي مرت بمراحل ثلاث (أو قانون الأحوال الثلاث- أو نظرية التقدم الإنساني): فيرى أن التقدم الإنساني لا يمكن أن يحصل إلى بالمرور بالمراحل الثلاث.

اللاهوتية – الميتافيزيقية – الوضعية (العلمية).

أ.الدور اللاهوتي:

يقصد فيه كونت أن العقل سار على أساس التفسير الديني، فقد كانت الظواهر تفسر بنسبتها إلى قوى مشخصة ابعد ما تكون عن الظاهرة نفسها كالآلهة والأرواح والشياطين

وما إلى ذلك كتفسير ظاهرة النمو في النبات بنسبتها إلى الله عز وجل أو إلى أرواح النبات وعدم الأخذ بأسباب النمو الدنيوية.

ب.الدور الميتافزيقي (الفهم التجريدي):

في هذا الدور نسب تفسير الظواهر إلى معاني مجردة أو قوى خيالية أو علل لا يمكن إثباتها كتفسير نمو النبات بقوة أرواح النبات.

ج.الدور الوضعي (العلمي):

من خلال التطور الفكري اطلق عليها المرحلة الوضعية وقد حدد الهدف من الوضعية يكون من خلال استخدام البحث العلمي.[1]

شروط فهم الظواهر على الطريقة الوضعية:

هنـاك شرطـان:

الأول/ أن تكون هذه الظواهر خاضعة لقوانين بحيث لا تسيرها الأهواء والمصادفات.

وهذا شرط متوفر في الظواهر الاجتماعية كون المجتمع جزء من الطبيعة الكلية كما أن جميع نواحي الطبيعة خضعت لقوانين ثابتة أمكن الوصول إليها. [وهذه إحدى جواهر الصراع بين علماء الاجتماع حول وجود قوانين للظاهرة الاجتماعية أم لا ؟]

الثاني/ هو معرفة الناس لقوانين الظواهر.

وهو أمر لا يتوفر إلا اعتمادا على الدراسة الوضعية عبر باحثين مهمتهم الكشف عنها. وهذه مسألة تتطلب قيام علم جديد وهو علم الاجتماع.

موضوع علم الاجتماع:

حينما أطلق "كونت" على العلم الجديد إسم السوسيولوجيا أو علم الاجتماع، أشار إلى أن موضوعه الرئيسي هو دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة نظرية مجردة، كما قرر أن موضوع الاجتماع شامل يدرس كل الظواهر التي لم تدرسها العلوم الأخرى

---

[1]- اسماعيل علي اسعد، الاتجهات الحديثة في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية. مصر، 1997، ص87-88

السابقة عليه، ويؤكد أن الإنسانية هي موضوع علم الاجتماع، وأنها هي الحقيقة الجديرة بالدراسة العميقة والبحث والكشف عن قوانينها التي تحركها وتشكلها وتعطيها أنماطا مختلفة.

إن الإنسانية كموضوع لعلم الاجتماع يدرسها كونت في حالتين :

الحالة الأولى: الديناميك أو التحول الاجتماعي (social static)

في هذه الحالة تهتم السوسيولوجيا بدراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها. أي دراسة الاجتماع الإنساني برمته وانتقاله من حال إلى حال. هذه الحالة تقوم على أساس فكرة التطور والتقدم.

الحالة الثانية: الستاتيك أو الاستقرار الاجتماعي (social dynamic)

موضوعها هو دراسة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها في فترة معينة من تاريخها، وكذلك الاجتماع الإنساني في تفاصيله وجزيئاته وفي نظمه وقواعده السياسية والاقتصادية والأخلاقية والدينية... وفي عناصرها ووظائفها بهدف الكشف عن القوانين التي تحكم التضامن بين النظم الاجتماعية (فكرة التضامن والنظام).

منهج البحث العلمي عند "أوغست كونت":

إن التفكير الوضعي عند "كونت" يتطلب مناهج وأدوات حتى يتم التوصل إلى كشف الحقائق في ميدان الظواهر الاجتماعية، وتتمثل فيمايلي:

الملاحظة – التجربة – المنهج المقارن والتاريخي.[1]

[1]–محمد الغريب عبد الكريم: السوسيولوجيا الوظيفية، دراسات نقدية تحليلية في نظرية علم الاجتماع الغربي، المكتب الجامعي الحديث، الاسطندرية، مصر، 1988، ص 69.

1.الملاحظة: ويقصد بها "كونت" ضرورة النظر للحقائق الاجتماعية على أنها موضوعات منعزلة عنا وعن شعورنا الفردي والذاتي، وقد يكون ذلك بالإدراك المباشر للظاهرة، وكذا دراسة مظاهر الحياة الاجتماعية والإنسانية.

2.التجربة: ويقصد بها التجربة الاجتماعية وتقوم على مقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل شيء ومختلفتين في حالة واحدة، كما يحدد التجربة الاجتماعية غير المباشرة، وهي موقف معملي توفره الطبيعة الاجتماعية ويمكننا من دراسته، ويمكن أن يمدنا بقوانين اجتماعية.

3.المنهج المقارن: وذلك من خلال مقارنة المجتمعات الإنسانية ببعضها البعض، وذلك لمعرفة التشابه والإختلاف كالمجتمع الزراعي والمجتمع الصناعي، وذلك قد يمكن من تحديد قانون التقدم.

4.المنهج التاريخي: يقصد به الكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشري، من خلال دراسة المجتمعات للوصول إلى قوانين حول ذلك.

إيميل دور كايم- Emil Dur Kheim
(1858-1917)

إيميل دور كايم من رواد النظرية البنائية الوظيفية ومن الذين استخدموا مفهوم الوظيفة، الذي يشير إلى مسألة تساند الأجزاء، عند دراسة الظواهر الإجتماعية على أساس أنها عمليات أو أثار لبناءات اجتماعية معينة، وقد تستخدم عبارة التحليل البنائي الوظيفي مثلما عند بارسونز.[1]

ولد "دور كايم" سنة 1858 في مدينة إيبينال بفرنسا، أبوه من الحاخامات اليهود، أتم تعليمه الإبتدائي في كلية "إيبينال" وتعليمه الثانوي في مدرسة "لويس الكبير"، حيث تجلت فيها ميولاته نحو الدراسات الإنسانية وخاصة التربوية، لذلك تقدم لمسابقة

[1]- علي الحوات: النظرية الإجتماعية "إتجاهات أساسية"، شركة فاليتا، مالطا، 1998، ص 95.

الإلتحاق بمدرسة المعلمين العليا في 1879 وتخصص في الدراسات الفلسفية، لذلك اهتم بفلسفة التربية.

قام بتدريس الفلسفة في المدارس الثانوية بفرنسا، كان مهتما بالدراسات التربوية الاجتماعية، فدرس "أوجست كونت" و"ألفرد اسبيناس"، كما أنه توجه لألمانيا وتعرف على الدراسات الاجتماعية فيها، وقد كانت فكرته عن نوعية الظواهر الاجتماعية وأثرها ومظاهرها قد تبلورت، فتقدم برسالته للدكتوراه إلى جامعة السربون عن "تقسيم العمل الاجتماعي" سنة 1893، فأقام بها دعائم نظريته الاجتماعية حول الظاهرة الاجتماعية.

أهم أعماله ومؤلفاته:

- **1983 تقسيم العمل الاجتماعي.**
- **1895 قواعد المنهج في علم الاجتماع.**
- **1897 الإنتحار.**
- **1900 علم الاجتماع في فرنسا في القرن 19 م.**
- **1909 علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية.**
- **1912 الصور الأولية للحياة الدينية.**
- **1922 التربية وعلم الاجتماع.**
- **1924 علم الاجتماع والفلسفة.**
- **1925 التربية الخلقية.**

الظاهرة الاجتماعية كموضوع لعلم الاجتماع:

لقد أشار دور كايم إلى أن علم الاجتماع هو العلم الذي يأخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعا له، ويرى أن الظواهر الاجتماعية في تعريفها العام هي القواعد والاتجاهات العامة التي تسود المجتمع ويجد الأفراد أنفسهم مجبرين علي اتباعها والسير وفقا لها. كما يعرفها بأنها: كل ضرب من السلوك ثابتا كان أم غير ثابت يمكن أن يباشر نوعا من القهر الخارجي على الأفراد أو هي كل سلوك يعم في المجتمع بأسره، وكان ذا وجود خاص عن الصور التي يتشكل بها في الحالات الفردية.[1]

خصائص الظاهرة الاجتماعية:

حدد دور كايم في كتابه "قواعد المنهج" أربعة خصائص للظاهرة الاجتماعية تمثلت في:

1.أنها تلقائية: بمعنى أن الفرد ليس بصانعها لأنها موجودة قبل أن يوجد الفرد، فنحن نولد ونجد أمامنا مجتمعا كاملا معدا من قبل.

2.أنها قهرية: أي ملزمة فليس الفرد حرا في اتباع النظام الاجتماعي أو الخروج عليه، فالمجتمع وضع الجزائر لكل من ينحرف بسلوكه عما اقتضته طبيعة الحياة الاجتماعية ونظم المجتمع الذي يعيش فيه الفرد.

3.أنها عامة: وذلك من حيث الإنتشار، بمعنى أنها لا توجد في مكان دون الآخر.

4.أنها خارجية: أي أنها منفصلة عن ذواتنا، وبذلك تتحقق موضوعية فهمها وتحديدها، ويمكن ملاحظتها ودراستها على أنها أشياء.

وقد حدد دور كايم منهجا ينسجم مع تحديده أن الظاهرة الاجتماعية خارجية منفصلة، وتمثل فيما يلي:

1-يجب دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها أشياء منفصلة عن الأفراد وذلك لتحديدها.

2-يجب التحرر من كل فكرة سابقة عن الظاهرة موضوع الدراسة.

---

[1]-ايميل دور كايم: قواعد المنهج في علم الاجتماع، تقديم: عبد الرحمان بوزيدة، مؤسسة موفم، 1990، ص 57.

3-على الباحث أن يبدأ بتعريف الظواهر التي يدرسها.

4-إمكانية ملاحظتها وإمكانية تطبيق المنهج الإحصائي لقياسها وعدها (الكم).

أهم مجالات ومواضيع علم الاجتماع:

تجدر الإشارة إلى أن من أهم دوافع دور كايم التي دفعته لتنزا نظريته الاجتماعية هي تحليل مشاكل المجتمع الأوربي والمجتمع الفرنسي خاصة، لذلك تناول دور كايم العديد من المجالات والظواهر الاجتماعية:

أولا/ طبيعة المجتمع الإنساني:

يرى دور كايم أن المجتمع ينشأ بصفة طبيعية وليست تعاقدية، بمعنى أن المجتمع عبارة عن تطور طبيعي لالتقاء الأفراد في جماعات إنسانية، ويؤكد أن كل مجتمع له عقل جمعي يصنعه مجموع تفاعل الأفراد فيه، كما أكد أن لكل مجتمع بناء ووظيفة.

ثانيا/ العلاقة بين الفرد والمجتمع:

يعتقد دور كايم أن المجتمع أسبق من الفرد والكل هو الذي يحدد شكل الأفراد والسلوك الاجتماعي المفروض على الفرد، وأن للأفراد رغبات وحاجات لا حدود لها، والمجتمع يفرض حدودا وقيودا عليها.

ثالثا/ الأسرة والمجتمع:

يرى دور كايم أن النظام الأسري أو المجتمع الأسري لا يقوم على الغريزة والقرابة الدموية، ولكنه يقوم على قواعد العقل الجمعي ويرى أن النظام الأسري تطور من الإتساع إلى الضيق، فقد تطورت الأسرة من المرحلة التوتمية وهي المرحلة التي يعتقد فيها أعضاء الأسرة أنهم ينحدرون من جد واحد أو روح واحدة، وتتخذ هذه الأسرة رموزا توتمية مادية أو معنوية للتعبير عن أصلها الواحد، وفي المرحلة الثانية تطورت إلى الأسرة الأبوية الكبيرة وهي التي يسطير عليها الأب وتضم أعضاء ليس بالضرورة أن

يكونوا من نفس الرابطة الدموية ومثال ذلك العبيد، وفي المرحلة الثالثة تطورت إلى الأسرة الزواجية وهو النمط السائد في المجتمعات الحديثة.

رابعا/ الدين والمجتمع:

يرى دور كايم أن الدين مجموعة العقائد والمعتقدات التي يشترك فيها أفراد المجتمع، وقسمه إلى قسم قدسي وهو العقيد أي الأشياء والعناصر والقيم المقدسة، وقسم عملي وهو الطقوس التي يزاولها الأفراد في المجتمع، ويرى دور كايم ان الطقوس الدينية تؤدي وظيفة إيجابية من خلال دمج الفرد في الجماعة.

خامسا/ ظاهرة الإنتحار:

الإنتحار دراسة قام بها دور كايم وتعتبر دراسة نموذجية بالنسبة للبحوث السوسيولوجية، ويرى البعض انها أول انطلاقة للبحوث الميدانية في هذا العلم، وأنه أول مرة يوظف الإحصاء في الدراسات السوسيولوجية.[1]

ودور كايم قد حثته التنوعات في معدلات الانتحار في المجتمعات العضوية الحديثة، على تطوير تصنيف للأنماط الاجتماعية التي مكنته من التمييز بين النماذج المختلفة للبنى الاجتماعية الحديثة.

ويعتبر دور كايم المجتمع تنظيما وبناء وكلما كان هذا البناء متماسكا ومتضامنا قلت فيه الظواهر الاجتماعية المرضية مثل الإغتراب والغنتحار وكلما تفكك ظهرت هذه الظواهر السلبية.

وأسس دور كايم بناء على ذلك نظريته المشهورة اللامعيارية- Anomie **والتي تقول بأن غياب المعايير التي توجه سلوك الأفرا نحو الخير واتلشر والصواب والخطأ والممنوع والمرغوب وتشعرهم بالإنتماء الاجتماعي، يؤدي إلى ضعف هذا الإنتماء الذي يجب ضبطه وإصلاحه.**

---

[1]- جمال معتوق وفضيل رتيمي: المبسط في علم الاجتماع، منشورات بن مرابط، الجزائر، 2008، ص 240.

الأنومي عند دور كايم الذي نتج عنه الإنتحار وربطه بتفكك المجتمع الأوربي والخصائص الاجتماعية للفئات التي يتكون منها المجتمع الفرنسي وهي البروتستنت والكاثوليك واليهود. فمعدلات الإنتحار تزداد عند البروتستانت نتيجة ضعف الروابط الاجتماعية وسيطرة الروح الفردية، وتقل عند الكاثوليك لقوة الروابط الاجتماعية وسيطرة روح الجماعة، وتضعف حالات الإنتحار بين اليهود نتيجة شعورهم بأنهم أقلية ونظرا لتماسكهم الاجتماعي القوي. وقد ذكر دور كايم نماذجا من حالات الإنتحار:

الإنتحار الأناني: وهو نتيجة الفردية المفرطة فيقول دور كايم: "تتحلل العورة التي تربط الإنسان بالحياة لأن الروابط التي توجد بينه وبين الغير تكون متراخية أو محطمة".

الإنتحار الإيثاري: في هذه الحالة يكون الإندماج الاجتماعي أقوى من اللازم، حيث يقول دور كايم أنه ينتج عندما: "لا تكون الذات ملكية خاصة"، ولا يستطيع الفرد مقاومة مطلب الجماعة بالتضحية.

الإنتحار اللامعياري: ويكون عند الحضور غير الكافي للمجتمع لدى الأفراد، وهو ناتج عن افتقار نشاط الفرد إلى التنظيم فيقول دور كايم: "في أنه لا يعتمد على طريقة ارتباط الأفراد بالمجتمع، ولكن على أسلاب المجتمع في تنظيمهم".

الإنتحار القدري: يشتق هذا الشكل حسب دور كايم من التنظيم المفرط فيقول أنه ينتشر بين: "...أشخاث ضاع مستقبلهم بلا شفقة وصدمت عواطفهم بعنف على أيد الأنظمة القهرية".

سادسا/ تقسيم العمل:

هذا الموضوع له أهمية خاصة في حياة دور كايم حيث كان بمثابة موضوع أطروحته للحصول على الدكتوراه، والفكرة الأساسية التي يقوم عليها كتابه "تقسيم العمل" تتمثل في تحديد العلاقة بين الفرد والجماعة.

حيث درس دور كايم ظاهرة العمل في المجتمع الإنساني وكيف أن الأفراد ينجزون الشرط الضروري لوجودهم الاجتماعي.

لذلك أقام دور كايم تمييزا واضحا بين مرحلتين يتم خلالهما تحول المجتمع. الأولى هي المرحلة المكيانيكية (التضامن الآلي)، والثانية هي المرحلة العضوية (التضامن العضوي).

1.المرحلة الميكانيكية (التضامن الآلي): تتميز هذه المرحلة بضيق الإختلافات والفوارق بين أفراد المجتمع، فهم متشابهون لهم نفس المشاعر والأحاسيس ويتمسكون بنفس القيم والمبادئ، فهم متجانسون لم يتباينوا ولم يتغايروا، وكذلك فطبيعة العمل في هذا المجتمع بسيطة وواضحة ومتشابهة. مثال ذلك المجتمعات البدوية، أو الرعوية أو المجتمع الزراعي البسيط.

1.المرحلة العضوية (التضامن العضوي): وهي مرحلة يكون فيها المجتمع معقدا وغير متجانس، وهذا ما ينعكس على ظاهرة العمل، فيكون فيها هو الآخر معقدا ومتنوعا وغير متجانس بين أفراد المجتمع. ومثال ذلك المجتمعات الحضرية والصناعية بوجه عام.

منهج البحث العلمي عند "إيميل دور كايم":

لقد أقر دور كايم أن دراسة الظواهر الاجتماعية يجب أن تقوم على مناهج وأدوات حتى يتم الكشف عن الظاهرة ويتم فهمها وتحديدها بموضوعية، وتمثلت في:

1.الملاحظة: من خلال الإدراك الحسي الذي هو أساس المعرفة والحقيقة.

2.الدراسة التاريخية: وذلك لمعرفة أحوال وأنماط المجتمعات المختلفة.

3.الدراسة المقارنة: تتم المقارنة بين ظواهر اجتماعية في مجتمع واحد أو مجتمعات مختلفة.

4.المنهج الإحصائي: وهو منهج يقوم على التعداد، وقد أكد المختصون أن دور كايم أول من استعمله في علم الاجتماع عند دراسته الإنتحار.

ماكس فيبر -Max Weber

1864-1920

ولد ماكس فيبر سنة 1864 في "إيرفيرت-Erfert" بألمانيا، وتوفي سنة 1920.

من أسرة بروتستانتية، والده كان محاميا عمل بالسياسة وكان عضوا بالبرلمان، أتاح اهتمام الوالد بالسياسة والقانون الفرصة لـ"فيبر" لكي يلاقي ببعض الشخصيات البارزة، مما أثار اهتمامه بأهمية العمل السياسي، بدأ في دراسة الإقتصاد منذ 1882، فالتقى بأفكار "آدم سميث- Adam Smith" و"كارل ماركس- Karl Marx"، دعي إلى جامعة "فرايبورج-Fruiburg" سنة 1893 ليعمل أستاذا للإقتصاد بها، حصل على درجة الدكتوراه في الإقتصاد عن موضوع "الشركات التجارية في العصور الوسطى"، في 1894 قام بتدريس السياسة، و 1897 أستاذا للإقتصاد، في 1900 أصيب بنوبة عصبية حادة فترك التدريس، ثم عاد إليه سنة 1918، ولم يحترف "فيبر" علم الاجتماع إلى قبيل عامين من وفاته، وتوفي سنة 1920.

أهم مؤلفاته:

- **1905 الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية.**
- **1919 العالم والسياسة.**
- **1922 الإقتصاد والمجتمع.**
- **1991 التاريخ الإقتصادي.**
- **1996 سوسيولوجيا الأديان.**

أهم ما قدمه "فيبر":

يمكن حصر فضل فيبر في تطوير منهجية العلوم الاجتماعية حسب دينكن فيمايلي: [1]

-امكانية تطبيق المفاهيم الاجتماعية على تصرفات الافراد بتفسير الكلمات.

[1]-صلاح الدين شروخ: مرجع سابق، ص 87.

-تحويل العلوم الاجتماعية الى مواضيع محايدة اخلاقيا لا تهتم بالقيم.

-طرح النموج المثالي.

أولا/ الفهم على مستوى المعنى والفعل الاجتماعي:

يُعرِّف "فيبر" علم الاجتماع على أنه: «علم يحاول أن يصل إلى الفهم المفسر للفعل الاجتماعي من أجل تفسير سببي لمجراه وأثاره »، لذلك ظهر ما يسمى "منهج الفهم" عند "فيبر"، والذي اتجه فيه إلى المزج بين علم النفس وعلم الاجتماع في تفسير الفعل الاجتماعي، فهو يجمع في نظريته بين:

اتجاه المدرسة النفسية التحليلية الذي يؤكد المعنى النفسي والعقلي للفعل الاجتماعي، واتجاه المدرسة الاجتماعية الذي يؤكد المعنى الاجتماعي للفعل الاجتماعي.

يُعرِّف "فيبر" الفعل الاجتماعي على أنه نتاج المعنى الذاتي الذي يخلعه الأفراد على سلوكهم، سواء كان هذا المعنى واضحا أم لا.

كما يقصد "فيبر" بمصطلح "المعنى": السلوك في ضوء الغرض الذي يسعى الفاعل لتحقيقه.

فيقول: أنه يجب فهم المعنى الذي يخلعه الإنسان على سلوكه، وهذا المعنى الذاتي هو المعيار الذي على أساسه يمكن تصنيف الأفعال الإنسانية، وذلك حتى يُفهم السلوك.

كما يضيف "فيبر" أنه لابد من وضع الفعل في سياق الدوافع، ثم تأتي محاولة فهم طبيعة هذا السياق، ووضع الفعل داخله يُعتبر تفسيرا للإطار الحقيقي للسلوك.

ثانيا/ النموذج أو النمط المثالي (نموذج الفعل):

تتطلب دراسة الفعل الاجتماعي في نظر "ماكس فيبر" أداة منهجية سماها النموذج أو النمط المثالي التي يرى أنها أفضل طريقة لدراسة المعاني الذاتية للظواهر الاجتماعية.

والنمط المثالي عند "فيبر" هو: بناء عقلي يتشكل من خلال ظهور أو وضع سمة أو أكثر لفعل أو وجهة نظر، ويمكن ملاحظة هذه الخصائص والسمات في الواقع العملي.

وبالتالي فالنموذج مفهوم محدد نقارن به المواقف الواقعية في الحياة بالمواقف المثالية.

و"فيبر" ينظر إلى الفاعل عندما يقوم بفعله لا على أساس أنه يستجيب لمؤثر معين، وإنما على أنه يبذل جهدا ليتلاءم مع أنماط من السلوك المثالي المجردة.

فالباحث في علم الاجتماع حسب "فيبر" يجب أن يجد هذا النموذج المثالي للفعل أو نمط السلوك، حتى يتمكن من الدراسة وذلك من خلال:

مقارنة السلوك الفعلي الواقعي، بهذا النمط المثالي.

- لماذا ؟

حتى يستطيع من خلال المقارنة فهم الأساليب التي يتأثر بها السلوك الواقعي، وبالتالي تكون هذه المؤثرات هي سبب الإنحراف عن السلوك المتوقع (المثالي).

مثال: عندما يقال "رجل الريف"

فهذا نموذج خالص يمثل لنا الشجاعة، الكرم،...

لكن إذا بحثنا عن الشخصية الحقيقية والسلوك الواقعي لرجل الريف في واقعنا، فهنا تظهر لنا إشكالية مدى التباعد أو التقارب بين صورة رجل الريف المثالية الخالصة، وبين السلوك الفعلي الواقعي لهذا الرجل في الحياة التي نعيشها.

فقد يكون أبعد ما يكون عن الصورة الريفية الخالصة.

ثالثا/ التنظيم الاجتماعي:

تستند نظرية "ماكس فيبر" في التنظيم الاجتماعي على مفهومه للسلطة، التي يرى أنها لابد أن تستند إلى الشرعية التي من خلالها تطيع جماعة من الأفراد الأوامر المحددة الصادرة عن السلطة، مما ينتج عنه التنظيم الاجتماعي، وهو يميز بين ثلاثة أنواع من السلطة:

1) السلطة الروحية: تقوم على أساس وجود شخص يتمتع بصفات نادرة أو خاصة تجعل الآخرين يطيعونه عن رضا، مثل القادة والزعماء الذين ينجذب الناس لأفكارهم

وشخصياتهم ومثل تنظيم الكنيسة الكاثوليكية في العالم أو الجماعات الصوفية، وهناك صلة روحية بين الأفراد وقائد الجماعة، تتطلب الطاعة والإتباع.

2)السلطة التقليدية: وهي تستند إلى قدسية التقاليد والعرف والإيمان بخلود الماضي، فعناك مركب من التقاليد يشكل نوعا من السلطة ومثال ذلك: شيخ القبيلة أو الخلافة في الدولة العثمانية.

3)السلطة القانونية: ويرى "فيبر" أنها تقوم على القانون، وهي ما وصل إليه الفكر الغربي، وأنها خاصية غربية، وهي نتيجة ظهور ثلاثة خصائص:-العقلانية. -السببية. -الحرية والمساواة.

ويرى "فيبر" أن الطاعة في السلطة القانونية ليست لشخص بعينه، وإنما لمجموعة من المعايير والقواعد الموضوعية مثل القانون والتنظيم القانوني أو البيروقراطية القانونية (أي سلطة المكتب المؤسس على قواعد القانون)، وهي التي ظهرت معها الدولة القانونية الحديثة في الغرب، ولم تُعرف من قبل، وظهرت المساواة بين الأفراد، وكذا الحقوق والواجبات، وبرزت البرجوازية التي دعمت الدولة الحديثة وأضعفت سلطات العائلة ورجال الإقطاع والكنيسة، وظهرت الحرية الفردية حسب "فيبر".

كما أن "فيبر" يرى أن الدولة الحديثة تقوم على تنظيم إداري يستند إلى سلطة قانونية الذي يعبر عنه بنموذجه المثالي "البيروقراطية"، وما بين ما يتصف به هذا التنظيم مايلي:[1]

1. ممارساته تقوم على أساس من المعرفة الموضوعية تجعله رشيدا.

2. نشاطاته ذات طابع رسمي.

3. وجود تقسيم عمل محدد وواضح.

---

[1]- علي الحوات: اتجاهات أساسية في علم الاجتماع، منشورات إيلقا-Elga، مالطا، ليبيا، 1998.

4. **وجود تسلسل رئاسي.**

5. **وجود قواعد تنظم قرارات وأعمال التنظيم.**

6. **الموضوعية في التعامل بين العمال ومع عملاء التنظيم.**

7. **التوظيف يكون على أساس الكفاءة.**

8. **عدم الفصل التعسفي للعمال.**

9. **ترقية العمال على أساس الإنجاز والأقدمية.**

منهج وأدوات البحث عند "ماكس فيبر":

1) **الملاحظة.**

2) **الدراسة التاريخية.**

3) **الدراسة المقارنة.**

قائمة المراجع.

1. أحمد رأفت عبد الجواد: مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، مصر، 1983.
2. بيار ماشيري(Pierre Macherey): كونت "الفلسفة والعلوم"، ترجمة: سامي أدهم، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، 1994.
3. جون كولر: الفكر الشرقي القديم، ترجمة: كامل يوسف حسين، العدد: 199، سلسلة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جويلية 1995.
4. جمال معتوق وفضيل رتيمي: المبسط في علم الاجتماع، منشورات بن مرابط، الجزائر، 2008.
5. محمود عودة: أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، بدون سنة النشر.
6. عادل مختار الهواري: أسس علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، مصر، 1984.
7. عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، العدد: 44، سلسلة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أوت 1981.
8. علي الحوات: اتجاهات أساسية في علم الاجتماع، منشورات إيلقا- Elga، مالطا، ليبيا، 1998.
9. صلاح الدين شروخ: مدخل إلى علم الاجتماع، دار العلوم، الحجار، عنابة، 2005.
10. مجموعة من الكتاب: نظرية الثقافة، ترجمة: علي سيد الصاوي، العدد: 223، سلسلة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جويلية 1997.
11. عبد الهادي الجوهري: أصول علم الاجتماع، دار الكتب، القاهرة، مصر، 1999.
12. حسن شحاتة سعفان: تاريخ التفكير الاجتماعي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966.
13. أحمد محمد عوف: موسوعة حضارة العالم، مكتبة وصال العرب، الموقع: www.arabslink.net
14. أندريه إيمار(André Aymard)، جانين أوبوايه(Jeannine Auboyer): الشرق واليونان القديمة، ترجمة: فريد داغر، وفؤاد أبو ريحان، المجلد الأول، من موسوعة: تاريخ الحضارات العام، الطبعة الثانية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1986.
15. محمد الخضر، " حياة بن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية "، محاضرة مقدمة بمناسبة حفل جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية، القاهرة، مصر، يوم الجمعة 05 صفر 1343 الموافق لسنة 1923. نشرتها المطبعة السلفية، بدون بلد النشر، بدون سنة النشر.